التجديد في عرض السيرة النبوية

مقاصده وضوابطه

د. محمد سيري

نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

دار اليسر

التجديد في عرض السيرة النبوية

مقاصده وضوابطه

د. محمد يسري إبراهيم

التجديد في عرض السيرة النبوية

مقاصده وضوابطه

د. محمد يسري

نائب رئيس الجامعة الأمريكية المفتوحة

دار اليسر

التجديد في عرض السيرة النبوية

مقاصده وضوابطه

حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظةٌ لِلمُؤلِّف

الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم الإيداع
٢٠٠٩/٢٥٧١

دار اليسر

٢٠ ش عبـ تاسعة، امتداد
مصطفى النحاس، مدينة نصر، القاهرة.
هاتف: (٠٠٢٠٢٢٤٧٠٩٢٦٩)
فاكس: (٠٠٢٠٢٢٤٧١٤٨٠١).
محمول: (٠١٦٢٢٧٦٢٠٨ - ٠١١٦٥٠٠٩٥٩)
البريد الإلكتروني: alyousr@Gmail.com

التجديد في عرض السيرة النبوية
مقاصده وضوابطه

مُقَدِّمَة

الحمد لله حمدًا حمدًا، والشكر لله تعبدًا ورقًّا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، وأكرم وأنعم.

أما بعد:

فقد اختص الله عز وجل هذه الأمة بخصيصتين عظيمتين كريمتين، أولاهما: القرآن الكريم: هداية الله للخلق أجمعين، والذي آتانا به من الخيرات مالم يؤت أحدًا من العالمين، ثانيتهما: النبي الكريمﷺ: خير الخلق، وخليل الحق، صاحب المقام المحمود، واللواء المعقود، والحوض المورود، كان خلقه القرآن، ووصيته القرآن، وميراثه القرآن، وقوله وعمله في ظلال هدي القرآن.

ومن تأمل في جماع الخيرات ومعدن البركات، لم ير إلا سنة وسيرة خير البريات، فهما تبيان القرآن، ودستور أهل الإيمان، وقدوة أبناء كل زمان ومكان.

وسيرتهﷺ على مثلها يؤمن البشر، وبتدبرها يلين القلب ولو قُدَّ من حجر، اعتنى بجمعها العلماء، وتغنى بكمالها الشعراء، وتأدب بآدابها الأدباء الألباء، وهي في كل عصر معين ثرٌّ لا ينضب عطاؤه، ولا يتغير عذبه وفراته، فكان حقًّا على كل مسلم أن يرد حوضه الممدود في الدنيا، ليسهل عليه الورود يوم القيامة.

وسيرة المصطفىﷺ هي ديوان الحياة المحمدية الجامع، ومرسوم منهج الاتباع النافع، وفيها ومنها يُستقى علاج الأمة الناجع، والأمة مجمعة على العناية التامة بسيرة خير البشر، تعلمها الصالحون كما تُتَعلم السورة من القرآن، ودونوها من غير زيادة ولا نقصان، وعولوا عليها في أبواب من فهم العلم والبيان، فهي مفصلة لما أجمل، وشارحة لما اختصر في حديث المصطفىﷺ.

ولا يخلو عصر من العصور إلا وللسيرة في عرضها وبيانها منه نصيب، إما بتدوين أو شرح أو تقريب، وفي زماننا تمس الحاجة إلى تمام الرعاية، ووافر العناية بسيرة الحبيب ﷺ، بتقريبها للأذهان، وعرض دروسها وعبرها؛ لينتفع بها في معالجة معضلات هذا الزمان.

وتجديد عرض السيرة له مقاصد شريفة، ومعالم منيفة، تؤكد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة، وتلاحظ الوحدة الجامعة بين أمة الإيمان على مر العصور وكر الدهور، وتبرهن على وحدة حضارة أهل الإيمان في أطرها العامة وسياجها الكلي، ومن أهم المقاصد تجديد العاطفة الإيمانية الصادقة، والتربية على مائدة السيرة بالقدوة الحسنة المباركة، والتمرس على إحياء فقه السنن الربانية في الإصلاح والدعوة، والتفاعل الإيجابي مع الواقع المعاصر، والتبصر الواعي بالعواقب والمآلات.

وتجديد العرض والتدوين له قواعد تضبطه، وأصول تحكمه، ومصادر ترفده، ومشاريع مباركة بالخير واعدة، وبعميم النفع على الناس عائدة.

وهذه مشاركة في تجديد عرضها، ومدِّ رواقها، وتسهيل درسها، وتقريب عبرها، وضبط مقاصد تدوينها ونشرها.

وعلى النسق الآتي رتبتها:

الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التجديد.

المبحث الثاني: مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها.

المبحث الثالث: مفهوم تجديد عرض السيرة.

المبحث الرابع: أضواء على مصادر السيرة في ظل تجديد العرض.

ثم يليه:

الفصل الثاني: جوانب من الخلل في كتابة وعرض السيرة النبوية قديمًا وحديثًا:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين منهجي المحدِّثين والمؤرخين في تدوين مرويات السيرة وقبولها.

المبحث الثاني: نماذج من الخلل في جانب الرواية والدراية في مرويات السيرة عند المؤرخين.

المبحث الثالث: نماذج من الخلل في جانب تفسير الحوادث والحكم عليها.

ثم يليه:

الفصل الثالث: مقاصد تجديد عرض السيرة: وفيه تسعة مباحث:

المبحث الأول: التأكيد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة.

المبحث الثاني: العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية.

المبحث الثالث: التربية بالقدوة على مائدة السيرة النبوية.

المبحث الرابع: إحياء فقه السنن الربانية.

المبحث الخامس: الإفادة من الجوانب الحضارية في السيرة.

المبحث السادس: التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله.

المبحث السابع: تعظيم قدر الصحابة ﷺ ومعرفة فضلهم.

المبحث الثامن: تجديد العرض والبيان بالإفادة من معطيات الزمان.

المبحث التاسع: تقديم السيرة النبوية الكاملة.

ثم يليه:

الفصل الرابع: قواعد وضوابط في منهج التدوين: وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول: اعتماد المصادر الشرعية الصحيحة وتقديمها.

المبحث الثاني: اتخاذ الموقف الصحيح من المصادر الأخرى.

المبحث الثالث: الجمع بين المناهج المنضبطة والعلوم المترافدة.

المبحث الرابع: التأكيد على المعجزات النبوية جميعًا مع الدلائل والخصائص والشمائل.

المبحث الخامس: تفسير الأحداث وفقًا للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح.

المبحث السادس: الحذر من الإسقاط التاريخي عند تفسير الأحداث.

المبحث السابع: الابتعاد عن المجازفة بالأحكام التعميمية.

المبحث الثامن: استعمال المصطلحات الشرعية والصحيحة.

ثم يليه:

الفصل الخامس: **قواعد وضوابط في العرض وأساليبه**: وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: التركيز في العرض على الأهداف والمقاصد الإسلامية.

المبحث الثاني: الاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة النبوية.

المبحث الثالث: تحقيق البلاغ المبين بعرض سيرة النبي الأمين ﷺ.

المبحث الرابع: الإفادة المنضبطة من وسائل الإعلام والتقنية المعاصرة.

المبحث الخامس: تتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد.

المبحث السادس: العناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات.

ثم الخاتمة.

والله تعالى هو المسئول أن يحسِّن نية كاتبها، وأن يتقبلها بقبول حسن، إنه هو ربنا، وهو –وحده– حسبنا، ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.
والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الله

د. محمد يسري

عشية يوم الخميس
١٤٢٩/١٢/٦هـ - ٢٠٠٨/١٢/٤م

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التجديد

بين يدي مصطلح التجديد:

ليس أمرًا سهلًا أن يحدد مصطلح التجديد تحديدًا أمينًا دقيقًا، في زمن أصبحت المصطلحات مستهدفة من قبل مختلف التوجهات والأيديولوجيات المتعارضة حينًا والمتناحرة أحيانًا!!

ولا شك أن مصطلح التجديد يستعمل اليوم للتوصل به إلى نقض بعض عرى الإسلام تارة، وإلى توهين بعض عراه الأخرى، وإن كان الأصل أن يرفع شعارًا للمصلحين الصادقين المجددين لما اندرس من معالم الدين.

وأمام هذه الإشكالية فلا بد من وقفة متأنية مع الدلالتين؛ اللغوية، والاصطلاحية الشرعية، بحيث يزول الإيهام، ويرتفع اللبس، ويعبَّد الطريق، ليكشف عن فهم أمين ودقيق لمصطلح التجديد.

المعنى اللغوي للتجديد:

التجديد: تصيير الشيء جديدًا، وجدَّ الشيء: أي: صار جديدًا [(١)].

وكل ما لم تأتِ عليه الأيام يسمى جديدًا؛ ولذا يسمى الليل والنهار الجديدين والأجدَّين؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد [(٢)].

والجديد نقيض الخَلَق[(٣)]، والجدَّة نقيض البلى[(٤)].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، (٣/ ١٠٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، (١/ ٤٠٩).

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠م، (٢/ ٤٤٥).

(٤) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ١٠٧).

قال ابن الرومي:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى تَجْدِيدِ وُدِّكُمُ وَهَلْ يُجَدَّدُ شَيْءٌ بَعْدَ إِخْلاقِ[١]

وعليه فإن التجديد لغةً يدور حول العودة بالشيء إلى حالته الأولى قبل أن يصيبه البلى، وهذا المعنى اللغوي هو المعتمد في بيان القرآن الكريم، قال سبحانه:

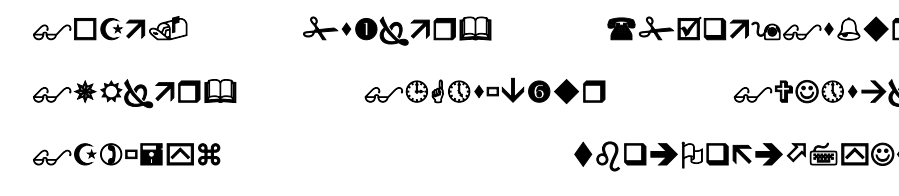

[الإسراء: ٤٩]. والمقصود: إعادة خلقهم كما كان أول مرة، وليس ابتداء خلقهم على غير مثال سابق.

المعنى الاصطلاحي للتجديد:

التجديد اصطلاحًا عند الشرعيين هو التجديد اللغوي عينه، مع ما يضاف إليه من قيود شرعية تعطيه مدلولًا خاصًّا ومعنى جديدًا.

ولا امتراء في أن هذا المصطلح قد ورد على لسان النبيﷺ واستعملت مادته في السنة النبوية، ومن أشهر ذلك قولهﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»[٢].

ولذا نجد أهل السنة في كتب شروح الحديث لا يعرفون من معنى التجديد سوى أنه: «إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات»[٣].

---

(١) ديوان ابن الرومي، بتحقيق حسين نصار، ط دار الكتب المصرية ١٣٩٧هـ، القاهرة، (٤/ ١٦٤٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٧) من حديث أبي هريرة. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٩).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، (١١/ ٣٩١).

ودور المجدد لا يخرج عن أنه يحيي «ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[١].

وتجديد الدين يستلزم بالضرورة إظهار هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلوِّ فيه، أو التفريط في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق، وسنن الاجتماع والعمران.

والمعاصرون من علماء الإسلام ودعاته يقررون ذلك المعنى ويجلُّونه، فهو عند المودودي: «تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصًا محضًا على قدر الإمكان»[٢].

وهو عند القرضاوي: «يقتضي جملة أمور:

١- الاحتفاظ بجوهر القديم، وإبراز طابعه وخصائصه.

٢- ترميم ما بلي منه، وتقوية ما ضعف من أركانه.

٣- إدخال تحسينات عليه لا تغير من صفته ولا تبدل من طبيعته»[٣].

ويزيد البيان وضوحًا فيقول: «ولا يعني تجديده إظهار طبعة جديدة منه، بل يعني العودة به إلى حيث كان في عهد الرسول ﷺ وصحابته، ومن تبعهم بإحسان»[٤].

ومن هذا البيان الوافي لعلماء الإسلام قديمًا وحديثًا نرى أن التجديد يتضمن نفيًا وإضافة، فالتجديد يحرس الدين بنفي كل دخيل يمس أصوله أو فروعه بالتبديد، أو التأويل الفاسد والانتحال الباطل، وهذا معنى قوله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين،**

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م، (١/ ١٤).

(٢) موجز تجديد الدين وإحيائه، لأبي الأعلى المودودي، ط٣، دار الفكر بيروت، ١٩٦٨م، (ص٢٥).

(٣) الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، للدكتور يوسف القرضاوي، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٢٤هـ، (ص٢٩-٣٠).

(٤) من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، للدكتور يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، (ص٢٨).

وتأويل الجاهلين»[١].

والتجديد يحرس الدين بإضافةٍ تقتضي تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجدُّ من وقائع وأحداث، وهذا هو الاجتهاد الذي به تستنبط أحكام ما استجدَّ من الحوادث والواقعات.

فالتجديد عند الفقهاء قريب من الاجتهاد، أو موازٍ له، وهو إضافة أحكام مستنبطة لنوازل مستجدة.

يقول السيوطي: «المجدِّد: هو المجتهد، وإذا حُمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى وأشبه بالحكمة»[٢].

ومقصد الإضافة هنا إمداد التجربة الإنسانية النامية بما تحتاج إليه من أحكام تتلاءم مع ما يستجد من أوضاعٍ، وفي هذا حفظٌ للدين من الجرأة عليه بحجة توقف عطائه الحضاري، أو قصور أحكامه عن ملاحقة كل جديد، وضبط الاستفادة من كل مفيد.

ومن هنا يتبين –مثلًا– مأخذ أبي بكر ﷺ في جمع القرآن، ويتجلَّى فقه عمر ﷺ في جمع الناس على إمام واحد في قيام رمضان، ويظهر أيضًا منزع عثمان ﷺ في نسخ المصاحف واعتماد ما أرسله إلى الأمصار.

ولا حرج أن يدخل في الإضافة كل جديد من الوسائل والآليات التي تقدم المضمون بلا تحريف أو تبديل أو تأويل فاسد، والتي لا تصادم نصًّا شرعيًّا، وتحقق المقصود من أقرب سبيل وأيسر طريق.

---

(١) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٤٤) من حديث أبي هريرة ﷺ، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٠٩) من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري، وصححه الألباني من حديثه في المشكاة برقم (٢٤٨).

(٢) تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم، ط دار الدعوة، الإسكندرية ١٤٠٣هـ، (١/ ٥٩).

وهذه الإضافة لا حرج فيها ما دامت متجهة نحو الشكل لا المضمون، وصَوْب الوسائل لا المقاصد.

أما تجديد المتغرِّبين، وأرباب العلمنة والحداثة، الذي يتضمن زحزحة الإسلام عن ضبط الحياة، وفصل الدين عن الدنيا؛ فهذا عين الطمس والتحريف والتدمير!

وهو في حقيقته: «نبذ الشريعة والقيم، والمعتقدات، والقضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجديد، وتَجاوز جميع ما هو قديم، وقطع صلة الأمة به»[١].

وعلى ما سبق فإن تجديد الدين يدور في فلكي النفي والإضافة، حتى يعود الدين كما كان في الصدر الأول؛ التزامًا بالدين على أكمل ما يكون الالتزام، وتصديًا لكل جديد بالاجتهاد الدائم الدءوب الذي يضبط كل جديد بضابط الإسلام[٢].

وهذا النفي وتلك الإضافة ليست في الدين ونصوصه، ولا في أصوله أو معاقده، وإنما هي في علاقة الأمة بدينها، وفي سلوكها، وفكرها المتفاعل مع نصوصه وثوابته؛ إذ هذا الجانب هو ما تعتريه القوة والضعف، ويتنزل عليه التجديد، ويقبل الإصلاح، وفيه يقع التغير[٣].

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «واتفقوا أنه مذ مات النبي ﷺ فقد انقطع الوحي، وكمل الدين، واستقر، وأنه لا يحل لأحد أن يزيد شيئًا من رأيه بغير استدلال منه، ولا أن

---

(١) تقريظ كتاب الحداثة في ميزان الإسلام للعلامة ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، والكتاب من تأليف د. عوض القرني ط دار الأندلس الخضراء، جدة، (ص٧).

(٢) تجديد الدين، مفهومه، وضوابطه، وآثاره، للدكتور محمد حسانين، نشر جائزة نايف بن عبد العزيز، ط١، ١٤٢٨هـ، (ص٣٥).

(٣) التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ، (ص٢٠).

ينقص منه شيئًا، ولا أن يبدل شيئًا مكان شيء، ولا أن يحدِث شريعة»[١].

فالتجديد عند الشرعيين هو عمل لإحياء منارات الدين، ومواجهة لتحريف المحرفين، وسعي للتمكين، وحفظ لصلاحية الشريعة بالاجتهاد المحكم الرصين.

(١) مراتب الإجماع، لابن حزم، ت: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (ص٢٧٠).

المبحث الثاني: مفهوم السيرة النبوية وأهـمـية دراســـتها

المعنى اللغوي للسيرة:

يطلق لفظ السيرة على السنة، قال خالد بن زهير[١]:

فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُـنَّةٍ أَنْـتَ سِرْتَهَـا فَـأَوَّلُ رَاضٍ سُـنَّةً مَـنْ يَسِـيرُهَا

وقوله أنت سرتها، أي: جعلتها سائرة بين الناس.

والسيرة هي الهيئة والحالة، قال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ﴾[طه: ٢١].

والسِّيَر: أخبار الأولين، وسيَّر سيرةً: حدَّث بحديث الأوائل[٢].

فالسيرة غلب استعمالها على تاريخ بعض الأشخاص لشهرتهم ومكانتهم.

المعنى الاصطلاحي للسيرة:

لفظ السيرة حين يطلق يراد به السيرة النبوية على صاحبها أفضل سلام وأزكى تحية، وأول من شهَر هذا المصطلح هو محمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ).

قال ابن النديم: «وله من الكتب:...كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي...»[٣].

والسيرة جمعها «سِيَر»، قال ابن حجر: «...وأطلق ذلك على أبواب الجهاد؛ لأنها متلقاة من أحوال النبيﷺ في غزواته»[٤].

فالسيرة هي ذكر وقائع حياتهﷺ من يوم مولده إلى يوم وفاته، وطريقته في جميع أمره، وبيان دعوته، ومعجزاته؛ بل إن سيرتهﷺ بحدِّ ذاتها معجزةٌ ناطقةٌ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٣٨٩).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٣٨٩)، تاج العروس، ط الكويت، (١٢/ ١١٧).

(٣) الفهرست، لابن النديم، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م، (١/ ٩٢).

(٤) فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ، (٦/ ٤).

بصدق نبوته.

يقول ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورةً، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقًّا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى»[(١)].

والسيرة النبوية وإن كانت ضربًا من التاريخ إلا أنها تاريخ خير البشر كافةً، وصفحاتها أنصع صفحات الطهر والخير في التاريخ عامة.

فَـمَا حَمَلَـتْ نَاقَـةٌ فَـوْقَ ظَهْرِهَـا أَبَـرَّ وَأَوْفَى ذِمَّـةً مِـنْ مُحَمَّـدِ

ومن هنا ندرك أواصر العلاقة المتينة بين السيرة والسنة، حيث ظهر من خلال المعنى اللغوي القرب الظاهر الذي ينتهي إلى الترادف بينهما، فالسنة والسيرة كلاهما بمعنى الطريقة، محمودة كانت أم مذمومة.

وعلى الصعيد الاصطلاحي تظهر علاقة الجزئية، والتي قد تنتهي إلى التطابق؛ إذ السنة النبوية تبحث فيما أثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقية أو خُلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[(٢)].

أهمية دراسة علم السيرة:

والسيرة تكمن أهميتها وتعظم قيمتها في أنها طريق الاتباع، ومنهج الاقتداء بالمصطفى ﷺ قال تعالى: ﴿ ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال سبحانه: ﴿ ﴾

---

(١) جوامع السيرة، لابن حزم، بتحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، القاهرة، ط١، (ص٢٠).

(٢) مجموع الفتاوي، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٣٩٨هـ، (١٨/ ١٠).

[آل عمران: ٣١].

وهي ديوان جامع أيضًا لحياة الصحابة مع نبيهم، يُظهر فضلهم، ويكشف عن سامق منزلتهم، كما وصفهم أخوهم عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعنهم: «أبرها قلوبا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد ﷺ كانوا على الهدي المستقيم»[(١)].

وهي تجمع علومًا تتعلق بفهم كتاب الله، بمعرفة أسباب نزوله، وملابسات حوادثه، وتكشف عن روحه ومقاصده، كما تجمع علومًا لطالب الكمال والجمال في الدين والدنيا، في العلم مع العمل، والأدب مع الخلق، والسياسة مع الكياسة، والبطولة مع الشهادة، والتربية مع التزكية، فهي بالجملة منهج الحياة والنجاة، ومنهج التربية والدعوة، ومنهج الجهاد والسلم، ومَنْهَمُ السياسة والحكم.

• وقد تواتر عن أسلافنا الصالحين صالح العناية بسيرة نبي الهداية ﷺ، فهذا زين العابدين علي بن الحسين بن علي رحمه الله (ت:٩٣هـ) يقول: «كنا نُعلَّم مغازي النبي ﷺ كما نُعلَّم السورة من القرآن»، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله (ت:١٣٤هـ): «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ ويعدّها علينا وسراياه، ويقول يا بنيّ هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها»[(٢)].

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي-بيروت، ط٤، ١٤٠٥ (١/ ٣٠٥).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: د.محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣، (٢/ ١٩٥).

وقال الزهري (ت: ١٢٤هـ): «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا»[١].

«وعن أبي الحسن بن فارس قال: (إن السيرة النبوية بخصوصها منه -أي: من التاريخ- مما يحق على المرء المسلم حفظها، ويجب على ذي الدين معرفتها)، ويتأيد ذلك بقول بعضهم -في حق من يهمل تعلّم السيرة- يخشى لمن جهلها إذا قيل له (أي: في القبر): ما تقول في هذا الرجل؟ أن يقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، أعاذنا الله من ذلك»[٢].

لعلم السيرة أهمية بالغة في الحديث وعلومه، نجمل ذلك في النقاط التالية:

- تعد السيرة من أهم سبل التعرف على السند ورجاله من الصحابة، وهذا من الأهمية بمكان في معرفة اتصال الإسناد من عدمه.
- والسيرة أيضًا من أهم مقاييس نقد متون السنة، والكشف عن الخطأ أو الكذب والوضع في متن الحديث. وكم من حديث حكم عليه بالوضع بسبب جهل واضعه بالتاريخ[٣].
- والسيرة عليها المعول في معرفة الناسخ من المنسوخ في الحديث، كما بين الحافظ العراقي أنّ النسخ لا يصار إليه بالاجتهاد، وإنما يصار إليه عند معرفة التاريخ[٤].

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م (٣/ ٢٩٧).

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي، ت: د.أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، (ص٨٢).

(٣) يراجع للأمثلة: الموضوعات الكبرى لابن الجوزي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، ط المكتبة السلفية بالمدينة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، (٢/ ٢٥١).

(٤) فتح المغيث، للسخاوي، ت: د. عبد الكريم الخضير، ود. محمد الفهيد، دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ، (٣/ ٤٤٩).

- والسيرة أهم مصادر معرفة أسباب ورود الحديث[١].
- والسيرة شارحة لما أجمل، ومفصلة لما أوجز من أحاديث النبيﷺ الخاصة بموضوعات السير، والمغازي، والفتن، وقد عول الشراح للحديث النبوي عليها كثيرًا عند شرح تلك الأبواب[٢].

(١) يراجع للأمثلة: أسباب ورود الحديث الشريف للسيوطي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دارالوفاء، (ص٣٢٦-٣٢٧).

(٢) يراجع للأمثلة: فتح الباري (٧/ ٢٧٩-٥١٩)، (٨/ ٣-١٥٣).

المبحث الثالث

مفهوم تجديد عرض السيرة

إن هذا التجديد في عرض السيرة يقصد به أول ما يقصد: ما يتعلق بنفي ما علق بالسيرة من أحداث لا تقبل روايتها، أو مواقف لا تثبت عن أصحابها، كما يعنى بنفي مناهج منحرفة في تفسير أحداثها أو إنكار معجزاتها، أو الانحراف إلى جهة تأويلها.

ومن هذا التجديد في العرض: ما يخصّ أسلوب تناولها، وطريقة درسها، بإدراك فقهها، والوقوف على دقيق أسرارها وجليل حِكَمها.

ومن هذا التجديد في العرض: ما يتناول إبراز الهدي الأول، وإظهار السمت الأكمل للنبي المبجلﷺ، ومعالجة مشكلات العصر ومعضلاته، بتجلية هدي خير الخلق وحبيب الحقﷺ؛ ليكون نور الظلام، ونبراس الهدى، في واقع يموج بالغلو والتسيب معًا، ويضطرب بالإفراط والتفريط جنبًا إلى جنبٍ، وتختلط فيه المفاهيم مع السبل، وبذلك تستلب الأديان وتستباح الأوطان.

ومن هذا التجديد في العرض: تيسير لغة أحداث السيرة بما يقربها للأذهان، ويجعلها كالماثلة أمام العيان، فيدخل في هذا شرح أحداثها في مواقعها، ونقل أخبارها من أماكنها، والاستفادة من تقنيات الإعلام المعاصرة في تعظيم التفاعل معها والانفعال بها.

وفي طيّ ما يأتي من صفحات؛ تأتي أضواء على مصادر السيرة النبوية وجوانب من الخلل في كتابتها تكشف عن أهمية تجديد وإعادة عرضها، وبيان لمعالم تجديد عرض السيرة، وضوابط منهج الكتابة وأسلوب العرض.

المبحث الرابع
أضواء على مصادر السيرة النبوية
في ظل تجديد العرض

أخبار السيرة كغيرها من الأخبار، كانت تنقل بالرواية وتعتمد على السماع، وقد سبق ما يدل على عناية أبناء الصحابة بحفظها وروايتها، وهذا كان سببًا في حفظ تلك المرويات؛ لأنها نزلت عندهم منزلة أنسابهم.

ورغم تداول علماء السيرة -آخر القرن الثاني- لأوائل الكتب المصنفة في المغازي والسير، مثل كتاب الزهري (ت:١٢٤هـ)، وموسى بن عقبة (ت:١٤١هـ)، ومعمر بن راشد (ت:١٥٤هـ)، ومحمد بن إسحاق (ت:١٥١هـ)، وغيرها، إلا أنهم بقوا معتنين بالسماع من الرواة، والرحلة لطلب الحديث.

وبانتهاء القرن الثاني اكتمل جمع مرويات السيرة، ومن ثمّ اتجهت الجهود خلال القرن الثالث الهجري إلى كتب المرويات لجمع مادتها واستقصاء أخبارها.

حيث ظهر جليًّا اعتماد ابن سعد (ت:٢٣٠هـ) على مغازي شيخه الواقدي (ت:٢٠٧هـ)، واعتماد خليفة بن خياط (ت:٢٤٠هـ) على ابن إسحاق (ت:١٥١هـ)، والبلاذري اعتمد على عدة مصادر منها: طبقات ابن سعد، ومغازي الواقدي (ت:٢٠٧هـ).

ومع بداية القرن الرابع تنوع التأليف في السيرة، وتعددت أغراضه، وتنوعت المصادر والروافد التي رجع إليها المصنفون، فظهر الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب الشروح والتفسير وغيرها.

واستمر الحال إلى العصر الحديث حيث عني عدد من الباحثين بمصادر السيرة في تآليفهم ورسائلهم الجامعية؛ ففي الهند عني السيد سليمان الندوي بمصادر السيرة في كتابه «الرسالة المحمدية»، والذي أصلُه محاضرات ألقاها في

جامعة مدراس عام ١٣٤٤هـ.

وكذا اعتنى بمصادر السيرة د. محمد حميد الله في أطروحاته التي قدمها إلى جامعة (باريس) عام ١٩٣٥م عن الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، وكذلك في كتابه الذي نشره بالفرنسية بعنوان «نبي الإسلام: سيرته، وأثره» عام ١٩٥٩م.

واعتنى د. مصطفى السباعي (ت: ١٣٨٤هـ) في تدريسه لمادة السيرة لطلبة كلية الشريعة بدمشق بمصادر السيرة، وطبعت تلك المحاضرات وتداولها القراء من عام ١٣٨١هـ.

وكذلك فعل د. عمر فروخ (ت: ١٤٠٧هـ) في مادة تاريخ صدر الإسلام، واستمر عمل المعاصرين بتقديم كتبهم في السيرة بذكر مصادرها، كما يبدو هذا جليًّا من صنيع د. محمد البوطي، ود. أكرم ضياء العمري وغيرهما.

إلا أن دراسة تقويمية متميزة قدمها الأستاذ محمد سرور بن نايف بعنوان: «دراسات في السيرة النبوية»، عنيت بمنهج خير القرون في كتابة السيرة وتعرضت لمصادرها ومناهج مؤلفيها والملحوظات الواردة عليهم، وتناولت بعض المباحث المتعلقة بالجرح والتعديل ومنهج المحدثين في رواية السيرة، وتناولت شبهات المستشرقين حول تدوين السيرة بالإيضاح والرد المفحم، ثم تناولت كتبهم في السيرة نفسها بالدراسة والتفنيد، وعرّجت على مناهج المنحرفين بعامة، ودعاة التغريب والعلمنة، وموقفهم من السيرة والتاريخ الإسلامي لمرحلة الخلافة الراشدة، مع تناولٍ لمنهج المدرسة الإصلاحية بالمراجعة والتقويم.

والكتاب في أصله بحوث نشرها مؤلفها في حلقات متسلسلة عامي ١٣٩٤هـ- ١٣٩٥هـ، ثم طبع في عام ١٤٠٦هـ.

ويبقى كتاب د. فاروق حمادة مؤلفًا منفردًا في هذا الموضوع، وقد نشر عام ١٤٠٠هـ بعنوان: «مصادر السيرة النبوية وتقويمها»، وهو في أصله محاضرات ألقاها على طلبة كلية اللغة العربية بجامعة القرويين بالمغرب.

ومن البحوث المتميزة في هذا المضمار والتي صدرت مؤخرًا بحثان كلاهما بعنوان: «مصادر السيرة النبوية بين المحدِّثين والمؤرخين» للدكتور ياسر بن أحمد نور، والدكتور عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس.

وهما البحثان الفائزان بجائزة نايف بن عبد العزيز العالمية للسنة النبوية في الدورة الثالثة وقد طبعا عن الجائزة عام ١٤٢٨هـ.

وبالجملة فقد انتهى عدُّ مصادر السيرة عند المعاصرين إلى عشرة مصادر بيانها كالتالي:

١- القرآن الكريم وكتب التفسير بالمأثور.

٢- الحديث النبوي وكتب الشروح.

٣- كتب السيرة والمغازي.

٤- شعر الدعوة الإسلامية وكتب الأدب.

٥- كتب الشمائل والدلائل والخصائص.

٦- كتب التاريخ العالمي والتاريخ الإسلامي العام.

٧- الدراسات النوعية في السيرة النبوية.

٨- كتب الطبقات والتراجم والأنساب والصحابة.

٩- كتب تاريخ المدن.

١٠- كتب الجغرافيا والبلدان.

وعند الحديث عن مقاصد التجديد في العرض ستكون عودة لبعض هذه المصادر بما يناسب البحث وطبيعته وموضوعه.

الفصل الثاني

جوانب من الخلل في كتابة وعرض السيرة النبوية قديمًا وحديثًا

تمهيد:

إن الحديث عن التجديد في مجال عرض السيرة اليوم يقتضي بالضرورة تأملًا في مواطن الضعف، وتعرفًا على مكامن الخلل ومواقع القصور من مختلف الجوانب، حتى يتناول التجديد جميع الجوانب بالإصلاح، وتتحقق المصالح المتوخاة من عرض السيرة وكتابتها لأبناء هذا الزمان.

وقبل الشروع في ذكر شيء من جوانب الخلل في كتابة السيرة قديمًا أو حديثًا يحسن أن نقدّم الحديث بكلمة قيمة للمؤرخ العلامة شبلي النعماني فيما نقله عنه سليمان الندوي في كتابه: «الرسالة المحمدية» حيث يقول:

«لما أرادت الأمم الأخرى من غير المسلمين أن تجمع في أطوار نهضتها أقوال رجالها ورواياتهم كان قد فات عليهم زمن طويل، وانقضى بينها وبينهم عهد بعيد، فحاولوا كتابة شئون أمة قد خلت، ولم يميزوا بين غث ذلك الماضي وسمينه، وصحيحه وسقيمه؛ بل لم يعلموا أحوال رواة تلك الأخبار ولا أسماءهم ولا تواريخ ولادتهم، فاكتفوا بأن اصطفَوا من أخبار هؤلاء الرواة المجهولين ورواياتهم ما يوافق هواهم، ويلائم بيئتهم، وينطبق على مقاييسهم.

ثم لم يمض غير زمن يسير حتى صارت تلك الخرافات معدودة كالحقائق التاريخية المدونة في الكتب، وعلى هذا المنهاج السقيم صنفت أكثر الكتب الأوربية مما يتعلق بالأمم الخوالي وشئونها، والأقوام القديمة وأخبارها، والأديان السالفة ومذاهبها ورجالها.

أما المسلمون فقد جعلوا لرواية الأخبار والسير قواعد محكمة يرجعون إليها، وأصولًا متقنةً يتمسكون بها وأعلاها أن لا يروي واقعة من الوقائع إلا عن الذي شهدها، وكلما بعد العهد عن هذه الواقعة فمن الواجب تسمية من نقل ذلك الخبر عن الذي نقله عمن شهد.

وهكذا بالتسلسل من وقت الاستشهاد بالواقعة والتحدث عنها إلى زمن وقوعها، والتثبت من أمانة هؤلاء الرواة وفقههم وعدالتهم وحسن تحملهم للخبر الذي يروونه، وإذا كانوا على خلاف ذلك وجب تبيينه أيضًا.

وهذه المهمة من أشق الأمور، ومع ذلك فإن مئات من المحدِّثين تفرغوا لها ووقفوا أعمارهم على تحري ذلك واستقصائه وتدوينه، وطافوا لأجله البلاد، ورحلوا بين الأقطار، باحثين دارسين لأحوال الرواة وكانوا يَلقَون المعاصرين لهم من الرواة لينقدوا أحوالهم، وإذا اطمئنوا إلى سيرة فريق منهم سألوهم عما يعرفونه من أحوال الطبقة التي كانت قبلهم، وقد اجتمع من هذا المجهود العلمي العظيم علم مستقل من العلوم الإسلامية أطلق عليه فيما بعد عنوان (علم الرجال) فتيسر لمن أتى بعدهم أن يقفوا على أقدار مئات الألوف من الحفاظ والعلماء والرواة وغيرهم.

هذا فيما يتعلق بالرواية وحملتها، وهنالك علم نقد الحديث من جهة الدراية والفهم، وأن له أصولًا محكمةً وقواعد متقنة اتخذوها لنقل المرويات وتمييز صحيحها من سقيمها، وغثها من السمين، والراجح من المرجوح، وقد تحرى علماء السنة في هذا الأمر الحق وحده، وتمسكوا فيه بالمحجة البيضاء وكل ما يؤدي إليه، فكان علمهم هذا من مفاخر الإسلام.

وأنت تعلم أن ممن تحمَّل الرواية رجالٌ من الولاة والحكام والأمراء الذين يخشى جانبهم، ويحذر الناس بطشهم وجبروتهم، فكان المحدِّثون يلتزمون فيهم

قول الحق وينزلونهم في المنازل التي يستحقونها، ولا يبالون بما قد يصيبهم من مكروهٍ بسبب هذه المصارحة بما يرضي الله ويصون أمانات الإسلام.

وكان وكيع محدثًا كبيرًا، وكان أبوه عاملًا للدولة على بيت المال، فكان إذا روى عن أبيه شيئًا عضده برواية راوٍ آخر، فإذا انفرد أبوه بخبر توقف وكيع عن الأخذ بذلك حتى تعضده رواية أخرى.

فهل رأيت مثل هذا الاحتياط ومثل هذه المبالغة في التثبت عند أهل ملة أخرى غير ملة الإسلام؟

ويقول الإمام معاذ بن معاذ رأيت المسعودي[١] في سنة ١٥٤هـ يطالع كتابًا - يعني أنه قد تغير حفظه-[٢] ومما يثير العجب والاستغراب أن الإمام معاذ بن معاذ تقدم إليه رجل بألف دينار على ألا يكتب في كتابه شيئًا عن رجل سماه فلا يوثقه ولا يجرحه؛ بل يسكت عنه، فرفض الإمام ذلك المال بشدة وقال: «إني لا أكتم الحق»، فهل يعرف أحد في تاريخ البشر مثالًا للاحتياط في العلم والأمانة للحق والاستقامة على منهج الصدق أعلى من هذا المثال؟»[٣].

وبعد هذا البيان عن منهج المحدّثين في نقل ورواية أخبار السيرة، ننتقل إلى شهاداتٍ منصفةٍ لأولئك الذين شهدوا شهادة حق في شأن السيرة وتدوينها، والفضل ما شهدت به الأعداء.

يقول المستشرق الألماني (د. سبرنجر)، وقد ادُّعي أنه أول أوربي كتب في سيرة محمدﷺ معتمدًا على المصادر العربية الأولى، ولم يعتمد في تأليفه إلا عليها، وقد عني بكتاب المغازي للواقدي، ونشر بعناية (فان كرامر) وتصحيحه سنة ١٩٥٦م،

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الملك بن مسعود، توفي سنة ١٦٥هـ.
(٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر، حيدرآباد، ط١، ١٣٢٥هـ، (٦/ ٢١١).
(٣) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي (ص٩٠-٩٢).

وبعنايته أيضًا طبع كتاب: (الإصابة في أحوال الصحابة) للحافظ ابن حجر.

يقول في مقدمة كتاب الإصابة المطبوع في كلكته بالهند: «لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطر الذي يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشئونهم»(١).

كما كتب المستشرق (جون ديون بورت) سنة ١٨٧٠م كتابًا بالإنجليزية في السيرة المحمدية عنوانه: «اعتذار من محمد والقرآن»، قال في مقدمته: «لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن من يعرف الناس حياته وأحواله بأكثر تفصيلًا وأشمل بيانًا مما يعرفون من سيرة محمد ﷺ وأحواله» (٢).

كما ألقى (ريورند باسورت سميث) عضو كلية التثليث في أوكسفورد سنة ١٨٧٤م محاضرات عن محمد ﷺ والمحمدية جاء فيها: «كل ما يقال في الدين يغلب فيه الجهل ببدايته... فالذي نعلمه من شئون زردشت وكونفوشيوس أقل من الذي نعلمه عن سولون وسقراط، والذي نعلمه عن موسى عليه السلام، وبوذا أقل مما نعلمه عن أمبرس وقيصر!

ولا نعلم من سيرة عيسى إلا شذرات تتناول شُعَبًا قليلةً من شُعَبِ حياته المتنوعة والكثيرة.

أما الإسلام فأمره واضح كله، ليس فيه سر مكتوم عن أحد، ولا غمة يَنْبِهِمُ أمرها على التاريخ، ففي أيدي الناس تاريخه الصحيح، وهم يعلمون من أمر

(١) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي (ص٧١).
(٢) المصدر السابق (ص٩٨).

محمد ﷺ كالذي يعلمونه من أمر (لوثر)، (وملتن).

وإنك لا تجد فيما كتبه عنه المؤرخون الأولون أساطير ولا أوهامًا ولا مستحيلات، وإذا عرض لك طرفًا من ذلك أمكنك تمييزه عن الحقائق التاريخية الراهنة، فليس لأحد هنا أن يخدع نفسه أو يخدع غيره، والأمر كله واضح وضوح النهار، كأنه الشمس في الضحى يتبين تحت أشعة نورها كل شيء»[1].

والحق أننا مهدنا بكلام بعض محققينا وبعض المنصفين من المستشرقين وأساتذة الجامعات ليتبين بجلاء أنه لا مقارنة بين منهج تدوين وتوثيق السيرة عندنا معاشر المسلمين وبين ما عند غيرنا، وإن كان لنا أن نبدي بعض ملحوظات أو تنبيهات حول منهج المؤرخين في تدوين السيرة وتفسير أحداثها.

(١) الرسالة المحمدية (ص٩٩-١٠٠).

المبحث الأول: بين منهجي المحدّثين والمؤرخين في تدوين مرويات السيرة وقبولها

سبق التنويه عند الكلام عن مصادر السيرة النبوية أن السنة النبوية من أهم تلك المصادر، وأن هناك لُحمة قوية ووشيجة متينة بين السنة والسيرة لغةً واصطلاحًا، وهذا يؤكد بالضرورة أن بين علماء الحديث ومؤرخي السيرة صلةً ونسبًا، وأن هذا المشترك المعرفي بين موضوع علمي السنة والسيرة ليفضي إلى مشترك منهجي بين العلمين بشكل عام، وذلك سواء على صعيد نقل الخبر أو نقده.

ومما ساعد على وجود هذه الوحدة المنهجية أن عددًا من المحدِّثين عنوا بالتأريخ والتدوين فيه، وأن كثيرًا من مؤرخي السيرة كانوا بالأساس محدِّثين؛ بل لقد رأينا من يشترط في المؤرخ نفس الشروط المطلوبة في المحدّث، فمثلًا يقول الكافيجي (ت:٨٧٩هـ) عن شروط المؤرخ: «... ينبغي أن يشترط في المؤرخ ما يشترط في راوي الحديث من أربعة أمور: العقل، والضبط، والإسلام، والعدالة»[(١)].

أما السخاوي (ت:٩٠٢هـ) فيقول: «أما شرط المعتني به -بالتاريخ- فالعدالة مع الضبط التام»[(٢)].

ومع هذا التقارب إلا أنه تميز منهج المحدثين -في الجملة- بالضبط والنقد، والتحري للمرويات روايةً ودرايةً، على ما يعرف في كتب الحديث ومدوّناته المعروفة كالصحيحين والسنن والمسانيد وغيرها، على تفاوت بين شروط المحدثين في كتبهم.

ووجدت مسافة بين كتب المؤرخين والمحدثين في مجال عرض السيرة النبوية

---

(١) المختصر في علم التاريخ، نشره روزنثال، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، بغداد مكتبة المثنى، ١٩٦٣م، (ص٣٣٦-٣٣٧).

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي (ص ١٠٧).

وتدوينها، واتسعت في بعض الأحوال الشقة بين الفريقين.

والموازنة والمقارنة بالجملة بينهما في جانبين كبيرين:

أولهما: جانب الرواية وما يتعلق بنقلها؛ من السماع والعرض والإجازة والمناولة والمكاتبة والإعلام، والوصية والوجادة وكلها من طرق تحمل الرواية.

ويلتحق بهذا الجانب جانب قبول الرواية من خلال منهج الدراية من نقد المصدر من خلال الجرح والتعديل، ونقد المضمون من خلال عرض المتن على معايير دقيقة لنقده والكشف عن الخطأ والتصحيف فيه، والمقابلة بين الروايات والمقارنة بين طرق الرواية الواحدة، والعرض على آيات القرآن والحقائق التاريخية، وصحيح المعقول.

وأما الجانب الثاني: فهو جانب تفسير الحوادث والحكم عليها، والموقف منها، والإسقاط عليها، وتوجيهها الوجهة التي تتفق ومذهب المصنف سواء أكان محدِّثًا أم كان مؤرخًا.

وقد دخل من هذا الباب طائفة من أهل الأهواء والزنادقة، وأعداء الإسلام، وتابعهم على ذلك المستشرقون وأذنابهم في العصر الحاضر؛ حيث فسروا أحداث السيرة وفقًا لتصوراتهم وفهمهم الخاص لحركة الحياة والتاريخ، بعيدًا عن صحيح العقيدة والفهم[1]، وعن الجانب النقدي رواية ودراية.

واستعان الجميع بمرويات مطعون في صحتها من جهة الرواية والدراية وأخذوا يتنافسون في توظيفها لخدمة أغراضهم الفاسدة ومبادئهم الكاسدة.

وسوف نعرض لنماذج مختصرة في كلا الجانبين للتنبيه على مواطن الخلل ومكامن القصور والتي يتعين أن تتناولها يد التجديد بالتسديد.

---

(١) منهج دراسة التاريخ الإسلامي، محمد أمحزون، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، (ص١١-١٢).

المبحث الثاني: نماذج من الخلل في جانب الرواية والدراية في مرويات السيرة

انقسم المؤرخون في نقل وتوثيق أخبار السيرة إلى فريقين؛ الفريق الأول: اعتمد الإسناد في مروياته، والفريق الثاني: لم يعتمد الإسناد وإنما ربما أشار إلى المصنَّف الذي أخذ عنه.

وإذا كان الزهري وموسى بن عقبة من أعيان المتقدمين من الطائفة الأولى فيما كتباه في السيرة النبوية اعتمدا في نقل مروياتها على طريقي السماع والعرض، إلا أن هذا لم يمنع وجود عدد من الروايات المرسلة في كتابيهما، كما اعتمدا على الوجادة[١] كطريق للنقل في المغازي.

وأما الواقدي من المتقدمين وابن سيد الناس (ت:٧٣٤هـ) من المتأخرين فيَصلُحان مثالًا لمن لم يلتزم الصورة المثلى في انتقاء أسانيده المتعلقة بأخبار السيرة النبوية، حيث أوردا كثيرًا من الأحاديث المنقطعة والمرسلة الضعيفة، والتي امتلأت بالإبهام حيال تحديد شخصية الرواة[٢].

وإذا ما قورن هذا بأداء المحدثين في نقل مرويات السيرة في الصحاح مثلًا، فإن الفرق يبدو جليًّا، في طرق نقل هذه المرويات، وكذا في درجتها من حيث الصحة أو الضعف.

ولعل ما يتوخاه المحدِّث من استنباط الأحكام بمختلف أنواعها العقدية أو

---

(١) الوجادة: هي أن يأخذ العلم من صحيفة أو كتاب من غير أن يكون له من صاحبه سماع أو عرض أو إجازة أو مناولة. انظر: تدريب الراوي للسيوطي (٢/ ٦٠)، وأكثر المحدثين لا يعتبرها إلا إذا حصلت الثقة بها.

(٢) مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، د. ياسر نور، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، (ص٣٩٥).

العملية هو الذي حمل على هذا الانضباط المثالي، أما المؤرخ الذي صرف اهتمامه إلى نقل وتصوير الأحداث من خلال نصٍّ تاريخي مكتمل التفاصيل متسلسل السياق محكوم ببداية ونهاية في ضوء ما هو متاح من مادة تاريخية؛ فإنه رأى أنه يسعه التخفف من هذه الضوابط الصارمة، حتى يتمكن من بناء النص التاريخي المكتمل.

وقد يبدو هنا سبب آخر يستفاد من تجربة الواقدي الذي قدَّم يومًا لتلامذته نصًّا تاريخيًّا مكتملًا لغزوة أحد من غير أن يسوق إسنادًا، وإنما جمعه من عدد من الأسانيد، فلما طالبه تلامذته بالأسانيد جاءهم بها في عشرين جلدة وفي رواية في مائة جلدة، فطلبوا عندئذ أن يردهم إلى الأمر الأول، أي: الرواية، حسب منهج ما يسمى بـ«الإسناد الجمعي».

ولا يمنع هذا من القول بأن هذا المنهج أنكره أئمة الحديث على الواقدي وغيره وعدّوه تلفيقًا منتقدًا بين الروايات(١).

ومرةً أخرى فإن عددًا من المؤرخين قد اعتنى بقواعد المحدثين في نقد الإسناد والمتن معًا، فهذا ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في البداية والنهاية يعتني بنقد الأسانيد والمتون معًا، فلا يورد ما يخالف هذا المنهج إلا إذا بين أنها من حكايات ابن إسحاق أو غيره، فإن كان فيها نكارة أو مخالفة للمشهور بيّن أو استنكر، لا سيما في قسم السيرة النبوية من كتابه، ومن أمثلة ذلك تعليقه على حديث سعد بن أبي وقاص عندما سأله ابنه أكان أبو بكر أول الصحابة إسلامًا؟ فأخبره أنه قد أسلم قبله أكثر من خمسين... قال ابن كثير: «فإنه حديث منكرٌ إسنادًا ومتنًا»(٢).

وتناول ما ذكره ابن إسحاق وغيره في مؤاخاة النبيﷺ بينه وبين عليّ بن أبي

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي، ط١، (٣/ ١٥-١٦)، فتح الباري، لابن حجر (٨/ ٤٥٦).

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٣٩).

طالب ﷺ فقال: «... وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصح شيء منها لضعف أسانيدها، وركة بعض متونها»[١].

كما عني بالجمع والتوفيق بين الروايات والترجيح بينها عند الاقتضاء وفقًا لقواعد المحدِّثين.

لكن نقاط المؤاخذة والضعف قد ظهرت عند أكثر المصنفين الذين لم يعنوا بقواعد النقد في الرواية والدراية.

ويمكن تلخيص ذلك إجمالًا فيما يلي:

١- عدم التزام الرواية المقبولة:

وهذا ظاهر في مصادر السيرة حاشا كتب السنة الصحيحة بعد القرآن الكريم، فإن مؤلفي السيرة والمغازي وأصحاب كتب الشمائل والدلائل والخصائص النبوية، ومصنفي كتب الطبقات والتراجم وتاريخ المدن والبلدان وغيرها لم يلتزم عامتهم الرواية المقبولة؛ إنما اجتمعت الروايات الصحيحة والحسنة إلى جانب الضعيفة والموضوعة أحيانًا؛ بل وجدنا أحيانًا القصص الأسطوري في أخبار ما قبل الإسلام، وما تزامن مع أيامه الأولى، وأغلب القصص التي أوردها ابن إسحاق لم يسندها وبعضها رواها عن محمد بن كعب القرظي، وبعضها أسندها إلى أهل الكتاب[٢].

وقد عرفت الروايات الإسرائيلية في بعض كتب السيرة والمغازي، وأقدم من عرف بذلك وهب بن منبّه (ت:١١٤هـ)، وأغلب رواياته عن كعب الأحبار (ت:٣٢هـ) وعبد الله بن سلام (ت:٤٤هـ) وهي وإن وردت في كتب السيرة إلا أنها لا تتعلق إلا بأحداث ما قبل الإسلام من أخبار اليهودية والنصرانية ونحوها.

كما أخذ عليهم إرسال الأسانيد ورواية الأحاديث الشاذة والمنكرة والرواية عن

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٥٠).

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام، حققها وعلق حواشيها محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، (١/ ٣١-٣٤).

المبهمين، والرواية عن أهل الأهواء والبدع؛ بل لقد اتهم بعض كتاب السيرة بشيء من هذا، فقد اتهم وهب بن منبّه بالقدر [١] وهشام بن محمد بن السائب الكلبي اتهم وأبوه بالتشيع والرفض والغلو فيه[٢]، والمسعودي بالاعتزال والتشيع[٣].

وقد قدمنا أن الحامل على قبول هذا المنهج هو الرغبة في تقديم نصٍّ تاريخي مكتمل.

وقد أعرب عن هذا بعض مؤلفي السيرة فهذا الكافيجي (ت:٨٧٩هـ) يقول: «...فإن قلت: هل يجوز أن يروي في تاريخه قولًا ضعيفًا؟ قلت: نعم يجوز له ذلك في باب الترغيب والترهيب، مع التنبيه على ضعفه، ولكن لا يجوز ذلك في ذات الباري ﷻ، وفي صفاته، ولا في الأحكام»[٤].

وهذا النهج ملحوظٌ عن ثقات المؤرخين مثل: ابن إسحاق، وخليفة بن خياط، والطبري، حيث يكثرون من الأخبار المرسلة والمنقطعة، كما أن الطبري يكثر النقل عن رواة في غاية الضعف، مثل: هشام بن الكلبي، وسيف بن عمر التميمي، ونصر بن مزاحم، وغيرهم [٥].

وإذا كان لنا في السيرة النبوية أن نتروى في قبول تلك المرويات الضعيفة لكثرة ما ثبت من الصحيح والحسن وما يقاربه؛ فإن هذا قد لا يتأتى في أحداث التاريخ الإسلامي وحقبه المتتالية.

وعليه فلا مناص من مرونة منهجية للتعامل مع تلك الأخبار والآثار فحيث

---

(١) تهذيب الكمال، للمزي، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، (٣١/ ١٤٧).

(٢) كتاب المجروحين لابن حبان، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، (٣/ ٩١)، ميزان الاعتدال (٤/ ٣٠٤).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ، (١٥/ ٥٦٩)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٨٢).

(٤) المختصر في علم التاريخ، ضمن كتاب (روزنثال): علم التاريخ عند المسلمين (ص٣٣٧).

(٥) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم ط٦، ١٤١٥هـ، (١/ ٣٩).

تعلقت بعقيدةٍ أو شريعةٍ فلا يصلح إلا المنهج الحازم المكتمل في التوثيق والنقد، وحيث لم تتعلق بشيء من ذلك، وكانت بحيث تسدُّ ثغرة في التفاصيل التاريخية، أو تكمل سياق الأحداث، من غير أن تتعارض مع نص محكم أو حقيقةٍ ثابتة فلا حرج عندئذٍ، وهذا مما قد يدخل تحت ما يقبله أهل الحديث حالًا أو مقالًا، فعلى صعيد المقال:

يقول عبد الرحمن بن مهدي (ت: ١٩٧هـ): «إذا روينا عن النبيﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال»[(١)].

وقال أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ): «أحاديث الرقاق يحتمل أن يتساهل فيها، حتى يجئ شيء فيه حكم»[(٢)].

وقال في رواية عباس الدوري عنه: «ابن إسحاق تكتب عنه هذه الأحاديث، يعني المغازي ونحوها، وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذا، وقبض أصابع يده الأربعة»[(٣)].

وعلق ابن سيد الناس على رواية ضعيفة في هجرة المسلمين إلى الحبشة، فقال: «والذي عندنا في هذا الخبر أنه جارٍ مجرى ما يذكر في هذا الباب من المغازي والسير، والذي ذهب إليه الكثير من أهل العلم الترخص في الرقائق، وما لا حكم فيه من أخبار المغازي، وما يجري مجرى ذلك، وأنه يقبل منها ما لا يقبل في الحلال والحرام؛ لعدم تعلقه بالأحكام»[(٤)].

وعلى صعيد الحال والممارسة أيضًا نجد ابن حجر يعلق على رواية لأنس بن مالك

---

(١) فتح المغيث، (٢/ ١٥٢).

(٢) الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، الخطيب البغدادي، ت: إبراهيم بن مصطفى آل بحبح، دار الهدى، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م، (١/ ٣٩٩).

(٣) نفس المصدر (ص١١٧).

(٤) عيون الأثر، لابن سيد الناس، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، (١/ ١٥٨).

في بيان أن النبيﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث[١]، فيقول: «...ولم أقف على تسمية هؤلاء جميعهم؛ بل سيأتي تسمية بعضهم، ويمكن إكمالهم بما سرده ابن إسحاق من أسماء من قتل من الكفار ببدر...»[٢].

وإذا ما رجعنا إلى رواية ابن إسحاق التي وردت فيها أسماؤهم نلحظ أنه أوردها بدون إسناد[٣].

وكذا تعامل ابن حجر مع الواقدي في بعض رواياته التي من هذا القبيل مع قوله عنه: «...وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف»[٤].

وعليه فالأصل اعتماد القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وما يقرب منها فحسب، فإن تعلقت الرواية الضعيفة بحثٍّ على مكارم أخلاقٍ، أو وصفٍ لعمرانٍ أو حديث عن صناعةٍ أو زراعةٍ، أو عدٍّ لأسماء أو ما شاكل ذلك فلا بأس من إيرادها كتكملةٍ للسياق التاريخي.

٢-اعتماد بعض نصوص الكتب السماوية المحرفة وكتب الأمم السابقة:

ويعتبر وهب بن منبّه أول من اقتبس في كتاباته مقاطع من الكتب السماوية السابقة، فقد روى قطعًا من العهد القديم، وقطعًا من المزامير، وأغلب مروياته في قصص الأنبياء وأخبار بني إسرائيل منقولة عن التوراة كما أن معلوماته عن المسيح وميلاده، وتفاصيل حياته، إنما أخذها من الإنجيل والكتب السابقة.

وقد نقل ابن إسحاق فقرات من العهدين القديم والجديد مترجمة حرفية، كما أورد ابن هشام نصًّا كاملًا لابن إسحاق من إنجيل يوحنا.

وقد رجع ابن قتيبة واليعقوبي إلى نصوص التوراة والإنجيل التي تتعلق ببدء

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٧).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٣٠٢).

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٣٥٥).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٤٧٢).

الخليقة على الخصوص[١].

وهذه النصوص والنقول تنزَّل منزلة الإسرائيليات في التعامل معها، يقول ابن كثير: «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد لا للاعتضاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما نشهد له بالصدق، فذلك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل؛ فلا نؤمن به، ولا نكذبه، ولا تجوز حكايته لما تقدم»[٢].

وعن هذا الأخذ والاقتباس قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فأما مجرد الرجوع إلى قولهم، أو إلى ما في كتبهم فلا يجوز بالاتفاق، والنبي ﷺ وإن كان قد استخبرهم فأخبروه، ووقف على ما في التوراة، فإنما ذلك لأنه لا يروج عليه باطلهم؛ بل الله سبحانه يعرفه ما يكذبون مما يصدقون، كما أخبره بكذبهم غير ما مرة، أما نحن فلا نأمن أن يحدثونا بالكذب»[٣].

ونحو هذا المعنى منقول عن ابن العربي في «العواصم من القواصم»[٤].

وأما ما يتعلق بكتب الأمم الأخرى والتي دخلت على مصادر المؤرخين فمثالها كتب تواريخ الأمم المجاورة للجزيرة العربية، مثل: فارس والروم والحبشة والهند ونحوها، وهذا المصدر لا يتعلق بالسيرة النبوية وأحداثها من قريب.

---

(١) مصادر السيرة النبوية، عبد الرزاق هرماس، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، (ص٢٧٧-٢٨٠).

(٢) تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (١/ ٣١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢، ١٣٦٩هـ، (ص١٧٢).

(٤) العواصم من القواصم، لابن العربي (ص٢٦٠).

المبحث الثالث: نماذج من الخلل في جانب تفسير الحوادث والحكم عليها

عرضنا فيما سبق أن بعض رواة السيرة وكتابها قد اتهموا في عدالتهم وسلامة معتقدهم، ووجد من هؤلاء من اتهم بالشعوبية والرفض والاعتزال والزندقة.

وعلاوة على ذلك فقد أورد كثير من كتّاب السيرة في بطون كتبهم روايات لأولئك المجروحين والمتهمين مكتفين باشتهار حالهم عن بيان علل مروياتهم.

ولا شك أن كثيرًا من أصحاب الأهواء ممن كتب في السيرة ظهر أثر بدعتهم في كتبهم، وأظهروا ما يخدم غرضهم، وانتفع بذلك المستشرقون وأذنابهم ممن لم يحسنوا فهم الإسلام ولم ينطلقوا من أصوله وقواعده، ومن هنا جاءت كتابات المستشرقين ومن تأثر بهم قاصرة عن فهم دوافع السلوك عند المسلمين في صدر الإسلام.

«إن أعظم قصور يواجه الدراسات الاستشراقية هو عجزها عن التصور السليم للإسلام وروحه وآثاره في المجتمع الإسلامي وحركته التاريخية، وهو قصور كبير يمنع إمكان الاعتماد على هذه الدراسات خاصة في عصر السيرة والراشدين، حيث تتطابق النظرية الإسلامية مع الواقع التاريخي»[(١)].

ولا شك أن هذا العجز عن الإدراك الصحيح كان مصحوبًا بحقدٍ دفين، وتحيزٍ أثيم، وعداوة قديمة، كل ذلك ظاهر فيما كتبه كثير منهم عن النبيﷺ ذاته.

فهذا المستشرق «دوزي» يزعم: أن محمدًا ﷺ -وحاشاه- كان سوداوي المزاج، يلتزم الصمت، ويميل إلى العزلة الطويلة[(٢)].

والمستشرق الفرنسي «كيمون» يقول في كتابه «باثولوجيا الإسلام»: إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا؛ بل هي مرض

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د.أكرم ضياء العمري (١/ ٣٥-٣٦).

(٢) سيرة سيد المرسلين، لمحمد الحسيني (١/ ٢٥).

مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي، يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، ويدمن على معاقرة الخمور، ويجمح في القبائح[١].

أما «بارتلمي دير بيلو» الذي يعد من أعلام المستشرقين في القرن السابع عشر الميلادي فيقول عن الرسول ﷺ: «هذا هو المنتحل الشهير «ماهومت» المؤلف والمؤسس لهرطقة اتخذت لها اسم الدين، ونسميها نحن الماهومتية»[٢].

والناظر في «تاريخ الشعوب الإسلامية» لشيخ المستشرقين الألمان «كارل بروكلمان» (ولد سنة ١٨٦٨م) يجده ينطلق من أصل فاسد وهو إنكار نبوته ﷺ والطعن في القرآن الكريم.

«وقصارى القول: يرى «بروكلمان» أن كل شيء في دين الإسلام اقتبسه محمد ﷺ من الأمم الأخرى، وينكر أشد الإنكار أن يكون الله ﷻ قد أنزل كتابًا، وشرع أحكامًا، وبعث رسولًا من العرب!»[٣].

وليس هذا بمستغرب منهم، وإنما الغريب أن يكون هذا موقفهم مع التشدق بالأمانة العلمية وغيرها من الشعارات!!

وعجيب أمرهم يؤمنون بخرافات التثليث وغيرها، والتي يمنعها العقل ولا تصح في النقل عن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ثم يذكرون أن حادثة شق الصدر أو الإسراء أو الوحي ما هي إلا خرافات وأساطير !!!

وإذا كان للمستشرقين اليهود والنصارى ما يحملهم على هذا الالتواء المنهجي فإن العجب لا ينقضي من أبناء جلدتنا الذين ينطقون بألسنتنا حين يتابعون المستشرقين في فراهم من غير برهان ويسيرون خلفهم كالعميان، ويرددون كلامهم كالببغاوات.

---

(١) دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور بن نايف، دار الأرقم، ط٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م (ص١٢٣).
(٢) الاستشراق، لإدوارد سعيد (ص٩٤٢).
(٣) دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور (ص١٣٣).

وفيما كتبه دعاة التغريب من تلامذة المستشرقين سواء من النصارى العرب[١] أو من المنتسبين للإسلام[٢] أمثلة ظاهرة، من كتابات عن صاحب السيرةﷺ ظالمة وتفسيرات لأحداث السيرة مضللة؛ ومن ذلك: قول الخوري في كتابه «دروس قرآنية»:

«إن الدعوة المحمدية كانت في العهد المكي كتابية إنجيلية توراتية مسيحية يهودية، ... وإنه [أي: القرآن] القرآن كتاب توراتي إنجيلي يهودي نصراني في موضوعه ومصادره وقصصه وجدله...».

«إن لفظه -أي القرآن- هو لفظ محمد ونظمه، وليس لفظ الوحي وبالتالي، فإن إعجاز نظمه قائم على النبي لا على الوحي!..»[٣].

وجرجي زيدان يفسر الغزوات والفتوحات الإسلامية في دوافعها تفسيرًا ماديًّا يرتكز على حاجة المسلمين إلى خيرات فارس والروم ومصر؛ لأن الجزيرة قاحلة، ولا تفي بمطالب سكانها وحاجاتهم الضرورية[٤].

ويعزو انتصار المسلمين على المشركين إلى دفع اليهود للأوس والخزرج كي يسلموا فيواجهوا مشركي مكة لتسقط الأصنام!![٥]

ويعزو انتصارات المسلمين على فارس والروم إلى وقوف اليهود إلى جانب المسلمين الفاتحين ضد الرومان الذين كانوا يظلمون اليهود!! وأن المسلمين ما كانوا ليفتحوا هاتين المملكتين لولا تضعضع الحال فيهما وتسرب الضعف إليهما[٦].

---

(١) من أمثال اللبناني: الخوري يوسف إلياس حداد في كتابه «دروس قرآنية»، والمصري: نظمي لوقا في كتابه «محمد الرسالة والرسول»، واللبناني: جرجي زيدان في كتبه: «تاريخ التمدن الإسلامي»، و«العرب قبل الإسلام»، و«تاريخ آداب اللغة العربية».

(٢) من أمثال: طه حسين في كتابه: «الشعر الجاهلي»، و«على هامش السيرة»، و«الشيخان».

(٣) دراسات قرآنية للخوري، نقلًا عن دراسات في السيرة النبوية لمحمد سرور (ص١٨٦-١٨٧).

(٤) تاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان، مكتبة الحياة بيروت، ط٢، (١/ ٦٦).

(٥) تاريخ التمدن، لجرجي زيدان (١/ ٤٠).

(٦) تاريخ التمدن، لجرجي زيدان (١/ ٧٣).

متناسيًا مقالة ربعي بن عامر في هدف الجهاد الإسلامي، والكثرة الكاثرة من الآيات والأحاديث في هذا الصدد، وأن الفتوحات الإسلامية لبلاد الروم وفارس استشهد فيها نحو من خمسين ألفًا من المسلمين واستمرت لأكثر من عشر سنين، وقتل فيها عدد من قواد المسلمين، وأن النصر جاء بعد معارك طاحنة على أرض فارس والشام وأن المسلمين كانوا الأقل عددًا في جميع تلك المعارك!!

وأما ما كتبه ربائب التغريب وصنائع الاستشراق مما يتعلق بالسيرة وصاحبهاﷺ فإنه يقطر خبثًا وتدميرًا لا هدايةً وتجديدًا !

فكثير مما كتب طه حسين إنما هو ترديد لما كتبه المستشرق «مرجليوث» وذلك بدءًا من إنكار صحة الشعر الجاهلي[1].

«وعقد د.محمد البهي رحمه الله بحثًا قيمًا في كتابه «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» قارن فيه بين كتاب «الشعر الجاهلي» لطه حسين، وكتاب «المذهب المحمدي» للمستشرق «جب» .. وانتهى من مقارنته العلمية إلى أن الأهداف والنتائج واحدة عند الكاتبين، و«جب» سبق طه بنشر هذه الآراء»[2].

وهو حين يكتب كتابه «على هامش السيرة» يضع من لبنات منهجه الكذب واختلاق القصص والأخبار، فيقول: «وأحب أن يعلم الناس أيضًا أني وسعت على نفسي في القصص، ومنحتها من الحرية في رواية الأخبار، واختراع الحديث!».

وإذا استجاز لنفسه أن يختلق الكذب في هذا الكتاب، فإنه أباح لها في «الشعر الجاهلي» أن يكذِّب بالحقائق، حين زعم أن القرآن من عند محمدﷺ، أو أن قصص الأنبياء –وعلى رأسهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في القرآن– لا تجاوز أن تكون أسطورة من الأساطير!!

---

(١) كان ذلك عام ١٩٢٤م في بحث نشره في مجلة الجمعية الآسيوية، قبل عام من بدء طه حسين لمحاضراته في الجامعة.
(٢) دراسات في السيرة النبوية، لمحمد سرور (ص٢٢٥).

وعلى هذا النسق من اختلاق الكذب، والتكذيب بالصدق، والتشكيك في الحق، سار طه حسين في كتابه «الشيخان»، وعلى منوال المتغربة نسج اليساريون المصريون كمحمد أحمد خلف الله[١] وعبد الرحمن الشرقاوي[٢].

ويتوقف قطار الرصد والأمثلة عند المدرسة الإصلاحية ومن تأثر بها من الكتاب والأدباء والدعاة؛ فالشيخ محمد الخضري -مثلًا- كتب قبل أن يتصل بالمدرسة الإصلاحية كتاب «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» أثبت فيه المعجزات والآيات الصحيحات كشق صدره ﷺ، والإسراء، وقصة بحيرا الراهب، وغيرها.

فلما اتصل بالمدرسة الإصلاحية وألف كتابه «محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية» لم يتعرض لشيء من تلك المعجزات، وشكك بقصة بحيرا، وذهب إلى أن الإسراء كان بالروح دون الجسد، وخالف رأيه الأول في الإسراء، وهكذا سار د. محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد»، وأيده الشيخ مصطفى المراغي في إنكار تلك المعجزات إلا القرآن، وظاهر على ذلك الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه «الوحي المحمدي».

فحادثة الفيل وما كان فيها ما هو إلا وباء الجدري الذي أصاب الجيش وحادثة شق الصدر مرفوضة مع كونها في صحيح مسلم؛ لأن الخبر لا يسيغه عقل، وقصة سراقة في لحوقه بالنبي ﷺ في طريق هجرته ترجع إلى كبوة جواد وحالة نفسية عند ذلك الرجل.

وبمثل هذه الحجج الواهية يقدم العقل الموهوم على النقل المعصوم، وتُئول المعجزات الحسية، وتُرَدّ الآيات والأحاديث الصحيحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وروايات السيرة.

---

(١) د. محمد أحمد خلف الله، كان «أمينًا عامًّا لحزب التجمع اليساري المصري»، وكتابه المقصود «محمد والقوى المضادة»، أصدره عام ١٩٤٢م.

(٢) كان رئيسًا لتحرير مجلة روز اليوسف، وأحد وجوه اليساريين المصريين، وكتابه المقصود «محمد رسول الحرية».

الفصل الثالث

مقاصد تجديد عرض السيرة

تمهيد:

إن سيرة النبي ﷺ كحديثه الشريف، صنوان لا يفترقان في الحفظ والصون، وفي العناية بهما والرعاية لهما، قيض الله لهما أعلامًا كبارًا، فقاموا بحقهما وأدوا الذي عليهم لله فيهما.

ثم إنه قد امتدت أيدي منحرفةِ الأخباريين والقصاص والمؤرخين إلى السيرة، وتبعهم مستشرقون ومستغربون فحاولوا التشكيك في قيمتها والنيل من موثوقيتها، وإساءة تأويل أحداثها ومواقفها، فكان حقًّا على أهل الإسلام في كل عصر ومصر أن ينفوا عنها الدخيل وأن يحتفوا منها بالأصيل، وأن يحرسوا جمالها وبهاءها أن يمتد إليهما عبث العابثين، أو تطالها نزوات المنحرفين.

كما يتعين على أربابها الغيورين أن يحسنوا تقديمها وعرضها من معينها الصافي ونبعها الوافي اعتمادًا على نصوص الوحيين، وإظهارًا لوجه السيرة الحضاري البهيّ، وتأكيدًا على التصور الإسلامي الصحيح للحياة والأحياء، وتنبيهًا على السنن الربانية الجارية في المجتمعات، وتربيةً على صالح القدوة وكريم الأسوة في سيرة خير الخلق وحبيب الحق ﷺ.

وذلك كله لا بدّ له من مقاصد توجهه، وقواعد تحكمه، ومعالم تحدده، وفيما يلي بيان لأهم تلك المقاصد والمعالم، والتي تمثل بمجموعها سياج التجديد الجديد.

المبحث الأول: التأكيد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة

إن دراسة السيرة النبوية -على صاحبها أزكى الصلاة والتحية- تؤكد على الثوابت الإيمانية والأصول العقدية، وذلك بدءًا من الإيمان بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر التصورات الإسلامية الصحيحة، مرورًا بالجانب العملي في العقيدة من اليقين بالله وتمام التوكل عليه، وحسن الظن به، والرغبة فيما عنده، والثقة في وعده، وعظيم محبته، والرجاء في موعوده، في تحصيل مرضاته، وانتهاءً بآثار الالتزام بالعقيدة الصحيحة من حصول النصر والتمكين، وكثرة الخيرات، وتتابع البركات، وانتشار الأمن في الأنفس والمجتمعات، ذلك أن الارتكاز على المحور العقدي، والتذكير به في كل مناسبة من مناسبات السيرة، وربط الحوادث به والانطلاق من قاعدته ومقتضياته؛ هو أسلوب القرآن الكريم، وهو منهجه في عرض تاريخ الأنبياء عليهم السلام أجمعين.

والتأكيد على أصول العقيدة يبرز الوحدة الإسلامية الجامعة بمعناها العام الذي يشمل الأولين والآخرين، وينتظم جميع النبيين وأتباع المرسلين؛ إذ الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله من أحد سواه، قال تعالى: ﴿ □ ★ ⊠ ﴾[آل عمران: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ ◆ ◆ ◆ ﴾[آل عمران: ٨٥].

فلا غنى عن التأكيد من خلال السيرة النبوية -مقارنة بسير أنبياء الله تعالى- على وحدة الأمة المسلمة، قال سبحانه: ﴿ 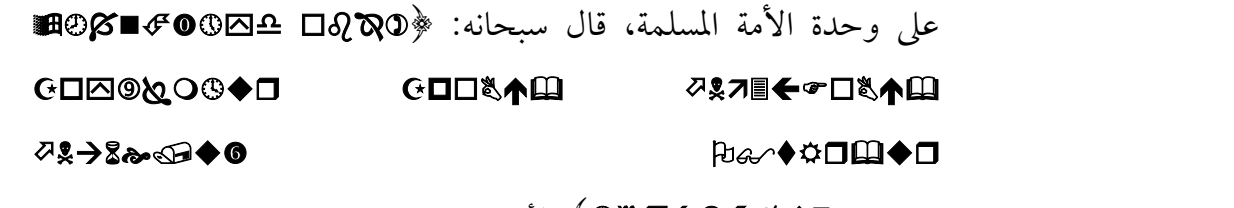 ﴾[الأنبياء: ٩٢].

وهذا المفهوم لوحدة الأمة الإسلامية يتبعه وحدة التاريخ الإسلامي على مرِّ العصور وكرِّ الدهور، كما يتبعه أيضًا وحدة الحضارة الإسلامية في أُطرها ومفاهيمها العامة.

ومن مقاصد التجديد في دراسة السيرة: ملاحظة هذه الرابطة المشتركة بين المؤمنين بالله على مر العصور؛ إذ المؤمنون بالله يصدرون جميعًا من مشكاةٍ واحدة، ويتلقون جميعًا عن رب واحد، ويدعون إلى عقيدة واحدة، ورسالة واحدة في قواعدها وأصولها، وكفى بذلك رابطةً ساميةً بين المؤمنين، تسمو بهم فوق الروابط الضعيفة من القومية، أو الوطنية، أو الإنسانية، أو اللغة، أو غيرها.

ومن الحقائق المقصود -لدى دراسة السيرة- تأكيدُها أيضًا: أن الأمة المسلمة هي صاحبة الخيرية الكاملة، وهي المؤثرة والفعالة في تاريخ البشرية بتمثلها الاستقامة منهجًا، والعدل مسلكًا؛ لذا فهي الشهيدة على الخلائق جميعًا، وهي الأمة الوسط، قال تعالى: ﴿ ﴾[البقرة: ١٤٣]، وهي بذلك خير أمة:

[آل عمران: ١١٠].

المبحث الثاني: العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية

تزخر السيرة بتطبيقات حية وأمثلة واقعية لقضايا تتعلق برعاية المقاصد الشرعية والحكم التشريعية، والغايات الكلية، وهي بهذا الاعتبار تمثل معينًا ثَرِيًّا للتمثيل والتفريع في علم الأصول والمقاصد الشرعية، وهما علمان غلب عليهما التقعيد والتأصيل مع ندرة في التمثيل؛ فلا غرو أن كان من مقاصد الدراسة المعاصرة للسيرة النبوية أن تُقرأ قراءة أصولية استنباطية تثري العلوم النظرية بتطبيقها على القضايا والمسائل الواقعية.

والمطالع لكتب الأصول يرى على سبيل المثال تحريم النبيذ بالقياس على الخمر بجامع الإسكار في كلٍّ، في حين أنه يمكن أن تستقى أمثلة تقرب المعنى وتسهل التطبيق، وتحقق التجديد في عرض السيرة النبوية، ومن ذلك في باب القياس: ما ورد من أن النبيﷺ أعطى بعض من كان مؤثرًا في تحصيل النصر يوم بدر مع أنه لم يشهد المعركة لسبب أو لآخر، فأعطىﷺ من الغنيمة لبعض من لم يحضر الوقعة قياسًا على من حضر بجامع التسبب في تحصيل النصر، فقد أعطى أبا لبابة الأنصاري وكان مخلَّفًا على أهل المدينة، والحارثَ بن حاطب؛ لأن الرسولﷺ خلفه على بني عمرو بن عوف لتحقيق أمرٍ بلغه، والحارث بن الصمة وخوات بن جبير؛ لأنهما كسرا بالروحاء فلم يتمكنا من المسير، وطلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد؛ لأنهما أرسلا يتحسسان الأخبار فلم يرجعا إلا بعد انتهاء الحرب، وعاصم بن عدي؛ لأنه خلفه على أهل قباء[1].

والسيرة النبوية تزخر برعاية المآلات والنظر إليها لدى التصرفات، بحيث

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/ ٣٩٥).

تأخذ الأفعال أحكامًا تتفق مع ما تئول إليه، فإذا كان الفعل يؤدي إلى أمر مرغوب فهو مطلوب، وإن كان يؤدي إلى شرٍ أو محظور فهو منهي عنه.

ولا شك أن الحكمة النبوية في التشريع والتصرفات المصطفوية تتجلى بوضوح في السيرة المحمدية، وقد رأينا المصطفى ﷺ يكفّن رأس المنافقين في قميصه ويصلي عليه؛ لما يرجو من المآلات المحمودة باستمالة أهله وأتباعه، والمستظلين بلواء زعامته[(١)]، ومن قبل كفّ النبيُّ ﷺ عن قتله وأمثاله من رءوس النفاق؛ لئلا يئول الأمر إلى الصد عن سبيل الله إذا قال من لا يدري: إن محمدًا يقتل أصحابه!

ولما تزوج رسول الله ﷺ جويرية بنت الحارث وجعل مهرها عتقها قال الناس لسباياهم من بني المصطلق: أصهار رسول الله ﷺ، وأرسلوا ما بأيديهم.

حتى قالت عائشة رضي الله عنها: فلقد أُعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[(٢)].

فكان في زواجه ﷺ من جويرية من جميل المآلات ما يحسن بدارس السيرة والمجدد في عرضها أن يتوخى إبرازه وإظهاره، ليكون معلمًا يهدي للتي هي أحسن[(٣)].

---

(١) فتح الباري (٨/ ٣٣٨)، نظرات في فقه الفاروق عمر، للشيخ محمد محمد المدني، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة، ٢٠٠٢، (ص٥٥-٦٦).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٢٧٧)، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٤٠٤٥، ٤٠٥٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٧).

(٣) للتوسع يراجع بحث: محاور وعناصر التجديد في عرض السيرة النبيوة، د. خالد حنفي، ضمن بحوث المؤتمر العالمي الثاني لمنظمة النصرة العالمية ٤-٦ ذو القعدة ١٤٢٩هـ (١١٧-١٣٩).

المبحث الثالث: التربية بالقدوة
على مائدة السيرة النبوية

التربية والتزكية هي طريق الأنبياء والمصلحين، وقد قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[الأنعام: ٩٠]، والتربية سبيل خاتم النبيين ﷺ، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[الجمعة: ٢].

والتربية بالقدوة هي التي تحوّل العقيدة المستكنة في الضمائر يقينًا إلى حقيقة سلوكية في الواقع.

ولا قدوة كالنبيّ ﷺ في سيرته، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[الأحزاب: ٢١].

وإبراز جانب القدوة في السيرة النبوية من أهم ما تتجه إليه جهود التجديد عند التربويين والدعاة الربانيين.

ذلك أن التربية بالقدوة أسهل وأسرع وأعمق أثرًا في النفس البشرية، وقد أمر الله تعالى وأمر النبي ﷺ بالاقتداء به في شأنه كله إلا ما اختص به من خصوصيات، فقال ﷺ: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»(١)، وقال أيضًا: «**لتأخذوا**

(١) أخرجه البخاري (٦٣١)، وهذا لفظه، ومسلم (٦٧٤)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

مناسككم»[١].

ولعظيم رتبة الاقتداء، ولجليل منزلته، لم يمنحها النبيﷺ إلا لاثنين من أمته بعده فقالﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي، أبي بكرٍ وعمر**»[٢]، أما الخلفاء الأربعة فتتبع سنتهم.

ولقد عنيت دراسات قديمة وحديثة بجانب القدوة من حياتهﷺ، ولعل من أشهر ما كتب في القديم: «زاد المعاد في هدي خير العباد» الذي يعتبر موسوعةً فقهية تربوية في السيرة النبوية تُعنى بهديهﷺ لمريد الاقتداء به من بعده.

وفي الحديث وجدت كتب كثيرة تعنى بسيرتهﷺ داعيًا، وسيرته معلمًا، وسيرته زوجًا وأبًا، ومن ذلك:

- النبي الكريمﷺ معلمًا للدكتور فضل إلهي.
- النبيﷺ زوجًا لنشأت شوقي.
- النبيﷺ مبشرًا لنشأت شوقي.
- مواقف ضحك فيها الرسول والصحابة لمجدي الشهاوي.
- مواقف بكى فيها الرسول والصحابة لمجدي الشهاوي.

وغيرها من الكتب كثير.

وعليه فإن المسئولية على دعاة التمكين لهذا الدين كبيرة، والأمانة عظيمة، في أن يتربى الشباب على سيرة النبيﷺ، وأن ينهلوا من معينها القدوة، وأن تطرح السيرة بهذا الوصف الجديد القديم في آنٍ واحد.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٩٧) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٢٧)، من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

المبحث الرابع:
إحياء فقه السنن الربانية

السنن الربانية هي نواميس مطردة في هذا الخلق لا تحول ولا تزول، قال سبحانه: ﴿ ﴾[فاطر: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ ﴾[آل عمران: ١٣٧].

والسنن الربانية جارية أو خارقة، والجارية إما متعلقة بالكون أو بالمجتمعات وكلتاهما ثابتة لا تتغير، مستقرة لا تتبدل؛ لأن الحق سبحانه لا يفرق بين متماثلين، ولا يخالف بين متناظرين، ولا يجمع بين مفترقين، قال سبحانه: ﴿ ﴾[القلم: ٣٥].

والدعاة الذين يبحثون عن نصرة هذا الدين عليهم أن يتعاملوا بسنن الله الجارية، وألا يتطلعوا لسنن الله الخارقة، فإن النبيﷺ في سيرته إنما نصر بسنن الله الجارية قبل الخارقة.

والحق أن كثيرًا من الدراسات القديمة والحديثة للسيرة النبوية لم تعتن بجانب السنة الاجتماعية الجارية، ولم تحاول أن تعرض السيرة النبوية من منظور سنني، ولا حتى من منطلق اجتماعي.

«ويكفي أن القارئ لدراسةٍ حديثةٍ في السيرة لا يكاد يحس فرقًا مهمًّا بينها وبين كتاب سيرة ابن هشام أو زاد المعاد على تباين أسلوب ومنهج الكتابين، رغم التطور الهائل في الدراسات الاجتماعية في العصر الحديث، وما تقدمه العلوم الحديثة من معطيات ضخمة تخدم الدراسات الاجتماعية»(١).

ولا حرج في أن نقول: إن من أهم مقاصد التجديد في السيرة النبوية: تقديم دراسات اجتماعية من خلال السيرة النبوية، تقوم على دراسة السنن والنواميس والقوانين الاجتماعية التي تحكم حياة البشر، وتؤثر في مجريات الحياة، وتحفز حركة التاريخ، وليس هذا المنحى بجديد على المسلمين، فإن القرآن الكريم قد امتلأت سوره بإشارات متعددة لتلك القوانين.

ولا شك أننا بحاجة إلى من يحاول إعادة صياغة النظرة القرآنية لأحداث السيرة، وتقديم الوقائع والتطبيقات في سياقها السنني، وتكوين نظريات اجتماعية كلية تفيد حركة الدعوة ومنهج الإصلاح، وتعنى بعمق النظرة، والشمول في الرؤية، والوضوح في التصور الإسلامي لحركة المجتمعات والتاريخ معًا، وإدراك دور الفرد والجماعة، والربط بين الأسباب والنتائج.

• إن السيرة بحاجة إلى دراسة سننية اجتماعية تجديدية تقف مع سنن الله في الأنفس والمجتمعات، وتستجلي البرهان من سيرة خير ولد عدنان ﷺ تقوم على التذكير بدور الإنسان في نشر الخير، ومسئوليته عن مدافعة الشر، وتربط الجهد بالنتيجة: ﴿·♍︎⧉◑ ✈︎✍︎☡✈︎ •• ③↖︎⇔♦︎❷⌘✈︎❸← ✌︎♦︎☡ ◯⍓✸☹︎☐⬚ ③↖︎⇔♦︎❷⌘✈︎❸←☐✈︎☎︎ ✌︎♦︎☡ ⌧⍓◑•☐⬀✈︎✌︎ ⌧⍓☐☼▦→◯⌘☡✈︎☠︎✌︎⬀﴾[الرعد: ١١].

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/ ١٤).

• وهي دراسة تشير إلى أن الأيام دول بين الناس، تتقلب بالمتقين والفجار، من رخاء إلى شدة، ومن بلاء إلى نعمة، وأن الصابرين في الضراء والشاكرين في الرخاء هم المفلحون، ﴿ 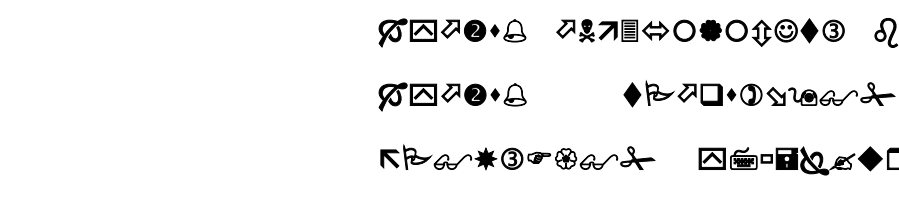 [آل عمران: ١٤٠].

• وهي دراسة تحذر من أسباب هلاك الأمم وزوال الدول، ﴿ 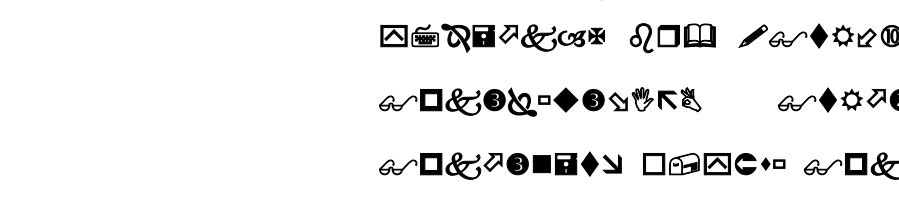 [الإسراء: ١٦]، ﴿ 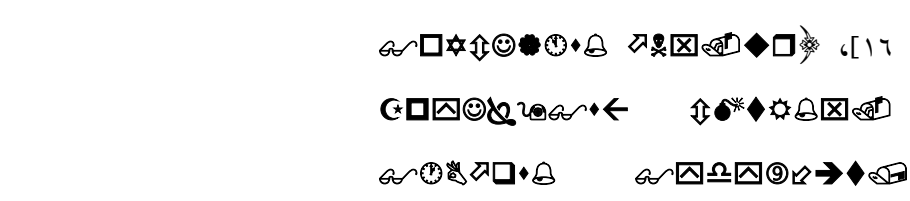 [الأنبياء: ١١].

• وهي دراسة تعلِّم أن الزمن له دوره وأثره في حل المشكلات وإنهاء الأزمات، وأن لكل أمة أجلًا، ولكل أجل كتاب، ﴿ 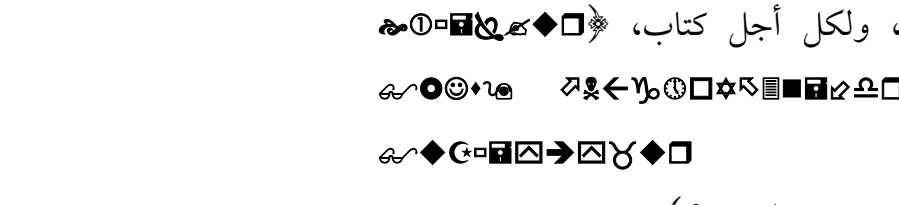 [الكهف: ٥٩].

• وأن قدر الله الغالب الذي لا يغالب هو النصر والتمكين للمؤمنين بعد

الابتلاء المبين، قال تعالى: ﴿ ﴾[البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿ ﴾[غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ ﴾[الروم: ٤٧].

• وهي دراسة تنبه إلى أن التدافع بين الخير والشر والحق والباطل سنة جارية، وهذا التدافع يراد منه تحقيق الخير للبشر كافة، فالصراع المحمود هو الذي ينهي الفتنة بكل صورها وأشكالها، ويحرر البشر من عبادة العباد ويخرجهم من الظلمات إلى النور، قال سبحانه: ﴿ ﴾

﴿ ✶ ✒ ⓫ ↖ 🕮 ∞ ✂ → 🗎 ← Ⅱ ③ ♌ ♏ ✍ ✒ ✂ [الأنفال: ٤٠]، وقال سبحانه:

"□ ✍ □ ✡ ☜ ✍ ✂ ★ ✒ ✍ ✂ ← ↗ ↘ ▫ ⊠ ⑩ •• ⇗ ❑ ♦ ☜ ◆ ❒ ﴾

♌ ☠ ⊠ ⑨ ✹ ○ ⊠ ▦ ⅄ ☜ 🖫 ⅄ ↙ ➔ ♦ 🖮 ♌ ✍ ⚐ ← ♍ • ♌ ↙ ➔ ♦ ✍

✍ ✍ ⇳ ♌ ♦ ▫ ❒ ➔ ❶ ⅄ ✒ ✍ ✂ ❶ Ⅱ ⇖ ⌛ ⓫ ♦ ☜ ◆ ❒ ⅄ ← ⇗ ❻ ☞ ❁ ✍ ✂

↖ ♦ ■ ❼ ✂ ☜ ↘ ➔ ⊠ ⓫ 🖬 ■ ☺ ♌ ✓ ▫ ﴿ [البقرة: ٢٥١].

المبحث الخامس: الإفـادة مـن الجوانب الحضارية في السيرة

تعبر حضارة كل أمة من الأمم عن إسهامها في مجال الأفكار والثقافات، وإنتاجها في مجال الاكتشافات والصناعات، فهما بمثابة الجناحين للطائر.

وإن السيرة النبوية هي ديوان الحضارة الإسلامية الراقية في أبهى العصور وأزهاها، حيث يتجلى أثر الإسلام في حياة البشرية حين هدم جاهليتها وبنى حضارتها، وغير من أفكارها وعقائدها ونُظمها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأقام بنيان الحضارة الإسلامية على التوحيد والحق، وشيد دعائمها على العدل والقسط، ورعى حقوق الإنسان على أكمل ما يتاح لبشرٍ أن يصل إليه.

ولا يخفى على مطلعٍ أهمية إبراز الجانب الحضاري في سيرة المصطفى ﷺ وفي الشريعة الغراء ولا سيما في بلاد غير المسلمين، حيث يقدم الحلول الناجعة لمشكلاتهم المعقدة.

وعليه فإن تجلية جوانب الرحمة بالمخالف، والتسامح مع الأعداء، والرفق بالصغير والجاهل والعامي في سيرة النبي ﷺ من شأنه أن يؤلف القلوب على الإسلام ويكشف عن سماحته للقاصي والداني.

وفي إيضاح جوانب تكريم الإسلام ونبيه ﷺ للمرأة أمًّا وبنتًا وأختًا وزوجًا ما يدفع كثيرًا من الشبهات التي تثار حول المرأة وحقوقها في الإسلام.

إضافة لما سبق فإنه حين تُتَتبع مدوَّنات السيرة لاستخراج الوجه الحضاري في الحِرَف والصناعات والفنون والعمران والبيئة وحقوق الحيوان؛ فإن كل ذلك يقوم بدور السفارة عن الإسلام ونبيه ﷺ في دعوة المخالفين في أصل الدين، وعلى مستوى الدراسات القديمة في السيرة نرى أن هذا الجانب لم ينل حظه من الرعاية أو التأليف، ويبدو أن أول مصنف عني بهذه المسألة بشكل جزئي هو

كتاب «تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية» لعلي بن محمد الخزاعي (ت: ٧٨٩هـ)، حيث عني في كتابه ببيان جوانب من النظم الإدارية والعمالات والحرف والصنائع التي مورست في العهد النبوي، والكتاب بهذه المعالجة المهمة يعتبر تأريخًا للسيرة النبوية من منظور حضاري.

والمؤلف لم يكتف بإبراز تلك الجوانب في العهد النبوي فحسب، بل تعدّاها إلى عهد الراشدين.

وقد قسم الخزاعي كتابه إلى عشرة أجزاء: ثمانية منها في العمالات، وواحد في الحرف والصناعات، وباب ختامي، وتوزعت تلك الأجزاء العشرة بين مائة وثمانية وسبعين بابًا[١].

وفي الباب الخاص بالحرف والصناعات وهو الجزء التاسع أمكن أن يقدم المصنف تصورًا عن المجتمع الإسلامي في عهد النبوة، وكشف به عن وجود حراك اجتماعي واقتصادي من خلال نوعيات الحرف والصناعات التي مورست في عهد النبوة، ممثلة في عدد من المهن كالحداد، والصباغ، والنساج، والحجام، والخياط والخواص، والبناء، وغير ذلك.

وعلى مستوى الدراسات الحديثة نجد دراسة الدكتور/ عون الشريف قاسم بعنوان: «نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ» دراسة في وثائق العهد النبوي، وهي مطبوعة في دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني.

كما تواجهنا دراسة قيمة لمحمد الصادق عرجون بعنوان: «الموسوعة في سماحة الإسلام»، وهي من مطبوعات الدار السعودية للنشر، ط٢، ١٤٠٤هـ.

---

(١) مقدمة كتاب «تخريج الدلالات السمعية» تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٢م، (١/ ٥).

وكذلك كتاب «العدل والتسامح الإسلامي» للسيد أحمد المخزنجي، نشر رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة دعوة الحق، برقم (٦٧).

ومن المؤلفات القيمة في الباب رسالة د. زيد الزيد، والتي بعنوان: «التسامح في الإسلام» حيث عرض للتسامح في السنة والسيرة وبيّن نماذج من تسامحه ﷺ وأثره المحمود.

ولا يزال الباب مفتوحًا لمزيد من الدراسات الحديثة الواعدة.

المبحث السادس: التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله

إن الواقع الذي عاش فيه صاحب السيرة ﷺ كان مثالًا للجاهلية في أحلك حقبها وأردأ تجلياتها، وقد رأيناه ﷺ في سيرته تعرض له من الأحداث الجسام فيتعامل معها بوعي بالغٍ وبفقهٍ متبصر بالعواقب، فقد رأيناه يكف عن قتل المنافقين لحكمة دعوية بالغة، ووجدناه يترك هدم الكعبة ويترك إقامتها على قواعد إبراهيم عليه السلام الأولى مراعاة لحالة القوم آنذاك، وهو ﷺ يمضي صلح الحديبية بشروطه التي رأى فيها بعض المسلمين إجحافًا؛ لما يتوخاه من المصلحة البالغة، ويعطي مرة أخرى بعض المؤلفة قلوبهم العطايا العظيمة من الغنائم، ويترك بعض خاصته من الأنصار، ويداري أقوامًا لما يرجوه من دفع غوائلهم، ويراعي في العهد المكي حالة القلة والاستضعاف، ويجتهد في العهد المدني لتحقيق واقع التمكين والاستخلاف، وفي كل ذلك دليل من سيرته، وبرهان عملي من طريقته على أهمية معرفة الواقع في الخَلق والواجب في الشرع في وقت واحد.

وكاتب السيرة في ثوبها التجديدي عليه أن يتنبه لهذا المقصد الحيوي، والذي ينشئ في دارسها ومتلقيها حالة من اليقظة تقتضي فهم الأشياء ومدلولاتها، وتجميع عناصرها وربطها في محاولة لإدراك الكل، واستيعاب الأحداث، وحسن التنبؤ لما يتوقع، وإدراك لمآلات الأمور والتفاعل معها بشكل صحيح، وهذا الوعي يستدعي بحثًا في العوامل المؤثرة في المجتمعات، والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة من الأعداء، والمكائد المرصودة لهذه الأمة، والسبل المشروعة لاستبانة سبيل المجرمين، وحماية الأمة من كيد المبطلين، وكما أن العلم بالخير سبب إلى فعله، فإن العلم بالشر سبب إلى منعه[1].

والدعاة اليوم -وهم يسعون إلى تبليغ الدين وإظهار بيناته، وإبطال كيد أعدائه-

(١) معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ط٣، دار اليسر، ١٤٢٩هـ، (ص٧٧).

تواجههم من الظروف والوقائع متشابهة الملابسات والدوافع ما يجعلنا نكرر قول العرب في أمثالهم «ما أشبه الليلة بالبارحة»، أو قول الإنجليز: «التاريخ يعيد نفسه»!

ولقد أشار القرآن الكريم إلى تشابه التصرفات عند اتفاق البواعث فقال تعالى:

[البقرة: ١١٨].

وقال سبحانه عن تشابه ما جرى بين الرسل وأقوامهم:

[غافر: ٥].

ولقد رأينا من خلال السيرة حرصه ﷺ على حسن فهم أصحابه لدين الله تعالى أولًا، وتحقيق العمل به ثانيًا، والدخول فيه جميعًا، وشهدناه ﷺ يحرص على استمرار عملية البلاغ المبين، من غير توقف ولو في أحلك الظروف، ويعمل على توظيف طاقات أصحابه، واستثمار قدراتهم في طريق الدعوة إلى الله كل بما يناسبه، ويعنى بالتدرج في الإصلاح والتغيير، ويتخذ طريق الحكمة، ولا يغتر

بالقوة، ويعنى بالإحكام قبل الإقدام، ويرعى الأعراف التي لا تخالف الشرع، وينتفع بها في دعوته، حتى انتقل من حال الاستضعاف إلى واقع الاستخلاف.

وامتلاك الدعاة من خلال دراسة السيرة لرؤية صحيحة عن مجتمعاتهم ومشكلاتها وأساليب علاجها؛ تحول دون الفوضى والتخبط، وتمكن الدعاة من اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب، ووضع التخطيط الملائم للوضع القائم، وتصبح المواصلة والاستمرار عملًا ممكنًا، والبلاغ العام بالإسلام، والتمكين لهذا الدين هدفًا متاحًا.

فمن لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الحق، لم يعرف أحكام الله في عباده، وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل، ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح!

المبحث السابع: تعظيم قدر الصحابة ﷺ ومعرفة فضلهم

خير القرون من وصفهم الله بالخيرية، وزكاهم الله تعالى بالعدالة والوسطية.

قال جل من قائل عليمًا يخاطب أصحاب النبي ﷺ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[آل عمران: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[البقرة: ١٤٣].

وقد زكاهم النبي ﷺ فقال: «**خير أمتي قرني**»[(١)]. وإذا كانت كل أمة تفاخر بآبائها ولو كانوا على الباطل كما قص الله تعالى علينا في كتابه من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠) وهذا لفظه، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

[البقرة: ١٧٠].

وقال تعالى:

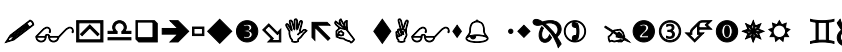

[الزخرف: ٢٣].

فإن الأمة المسلمة فلها مع أصحاب نبيها ﷺ موقف آخر، قال تعالى:

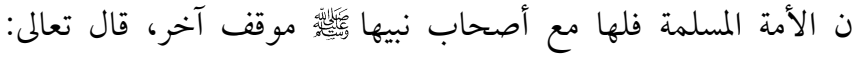

[الحشر: ١٠].

والعجب لا ينقضي من أمة الرافضة قديمًا وحديثًا حين تنكَّبوا فضائلهم واستباحوا أعراضهم وتجاسروا على تكفيرهم، فجاءت كتبهم في السيرة سوداء سواد قلوبهم وعمائمهم، وجاءت مروياتهم بتراء من الحق والصدق شأن ديانتهم وطريقتهم.

وأهل الحق لا يقولون في الصحابة بعصمتهم، ولا يخوضون فيما وقع بينهم، ويعتقدون أن سوابقهم بالخير سابقة وأن سيئاتهم مكفرة، لما سبق من نصرةٍ

وجهاد يمحو الذنوب، وابتلاء يمحص القلوب، وعبادة واستقامة وتوبة وإنابة.

وكتب السيرة والتاريخ لدى أهل السنة تقرر هذا المعنى بأوضح عبارة وأصرح إشارة، فهم يمتثلون قول المصطفى ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»(١).

قال الإمام أحمد رحمه الله: «فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص»(٢).

فمن مقاصد التجديد المعاصرة: تنقية الكتب المطولة من ذكر أخبار لم تصح فيما شجر بينهم، وحمل ما وقع مما صح على أحسن المحامل، والاعتذار عنهم، والتفريق بين ما كان عن اجتهاد وغيره.

ومن مقاصد التجديد في هذا الباب أيضًا: تنقية الكتب الدراسية التي تعرض السيرة والتاريخ لطلبة المدارس في مراحل الدراسة المختلفة مما شابها، لينشأ الناشئة على حب المهاجرين والأنصار؛ وليتبعوهم بإحسان، وتكون القدوة الكاملة في أصحاب النبي ﷺ العدنان.

وفي هذا إعمال للقواعد الشرعية والأصول التربوية، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وسد الذرائع المفضية إلى سوء الاعتقاد واجب، والقاعدة: «ما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، وهذا لفظه، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٢) رسالة السنة، للإمام أحمد (ص٧٨).

أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[١].

وليس في هذا التقرير ما يخالف منهجًا صحيحًا، أو يدعو إلى توهين الحق، فالحق لا يعرف بالرجال، ولا بكثرة من به قال، وإنما يعرف الرجال بقدر تمسكهم بالحق، و«الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك»[٢]، وإذا كانت تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج فهذا يعني أن نحسن الأدب ولا نسيئه مع الكبار، وأن نقدم حسن الظن مع الاعتذار.

(١) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٠)، موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.
(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٦/ ٤٠٩)، موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه.

المبحث الثامن: تجديد العرض والبيان بالإفادة من معطيات الزمان

إن التجديد في عرض السيرة يعنى في بعض جوانبه بأداة عرضها، وأسلوب تقديمها، ولا شك أن لكل زمان خصائصه ولكل وقت وسائله، والتجديد يتناول مع الأساليب الوسائل والآليات.

والمؤرخ المسلم اليوم يحتاج إلى أن ينتفع بتقنيات العصر ومعطياته في تجديد عرض السيرة من خلال تلك القنوات الفضائية، والشبكة العنكبوتية والوسائط الإلكترونية المختلفة.

ولا شك أن مجالًا رحبًا -في هذا العصر- قد فتح لجمع مرويات السيرة إلكترونيًّا ثم تصنيفها ودراستها ونقدها بشكل منظم، وأن رسائل جامعية كثيرة قد حققت وانتقدت بشكل منهجي موثق ومعتمد، وأن باحثين كثرًا قد عنوا بالقواعد والضوابط وتقعيدات المناهج في كتابة السيرة من مصادرها ومظانها، وأن علومًا معاصرةً يمكن أن يستعان بها في خدمة السيرة قد تبلورت وانضبطت، كل ذلك قد يؤدي خدمات جليلة في تدوين وعرض السيرة في هذا الزمان.

وبالمقابل فإن نشاطًا ملحوظًا في طرح الشبهات حول السيرة قد ظهر وانتشر، وأن جهاتٍ مشبوهة داخل العالم الإسلامي وخارجه تخترع شبهات جديدة، وتبث الأخرى القديمة، وهذا يستدعي إعطاء الشبهات المعاصرة حول السيرة حيزها وقيمتها في الرد عليها وتفنيدها سواء صدرت من الخارجين عن هذا الدين أو المارقين منه.

وقد رأينا كتبًا معاصرةً متميزةً تعنى بأطلس التاريخ الإسلامي قديمًا وحديثًا،

وتخص السيرة بخرائط مصورةٍ ورسوماتٍ موضحةٍ لأحداثها[١]، وتصويرًا تلفازيًّا لمواقع غزواتها، وأماكن مواقفها ومشاهدها.

ولا يخفى أن هذا العصر قد أمدَّ المجدِّد في هذا الصدد بأنواع جميلة من فنون الطباعة والإخراج والتجليد، الأمر الذي يمهد لتجديد في الشكل والقالب، بحيث يلفت القلوب والأنظار، ويمتع الفكر والأبصار، ويليق بمقام النبي المصطفى المختار.

ولا تزال هناك - تحت الإعداد- مشاريع واعدة لعرض السيرة موضوعيًّا، وروائيًّا، وحضاريًّا في قالب تجديدي جذاب منضبط.

وفي الصفحات الآتية قواعد وضوابط للتجديد في تدوين وعرض السيرة، بحيث يحقق التجديد غايته من الحفاظ على المضمون مع حصول التحديث المأمون.

---

(١) كما فعل ذلك د. طارق السويدان، ود. عماد الدين خليل، وغيرهما، ومن قبلهما د. حسين مؤنس.

المبحث التاسع:
تقديم السيرة النبوية الكاملة

إن شخصية نبينا الكريم ﷺ وشمائله ومعالم نبوته أعظم وأكبر من أن يحاط بها في مؤلف عن سيرته، أو تُجلَّى من خلال كتاب عن رسالته، وعلماؤنا السابقون والمُحْدَثون حين كتبوا سيرته ﷺ اعتنوا بالمغازي عناية فائقة؛ لأنها تسجيل دقيق لعلاقاته في حربه وصلحه وسلمه، وتحمل إشارات كثيرة تفيد في علوم متعددة.

ومع كل هذه المساعي المشكورة في تدوين السيرة، وكل تلك الجهود المبرورة في عرض أحداثها فإن السيرة الكاملة لنبينا ﷺ لّما تكتب! وذلك لأن المراد من كتابتها تجلية شخصيته ﷺ، وإظهار معالم عظمته بجوار بشريته، ليقوم الإعجاز ماثلًا أمام العيان، وليتم بدر كمال هذا الإنسان ﷺ.

ذلك أن السيرة الكاملة ليوم من أيام المصطفى ﷺ من شأنها أن يؤمن على مثلها الفئام من البشر! فكيف لو عرضت بأسرها كاملة ومكملة؛ فيُرصف إلى قيامه للّيل وتهجده وبكائه ما يكون بينه وبين زوجه من حسن عشرة وكمال مودة، ويُجمَع بين إمامته لأهل مسجده في الفجر وذكر الله بعده، وبين تعليمه لجاهل وتنبيهه لغافل، ليظهر حسن تعليمه وكمال خلقه، ويُتناول خبر استقباله لوفد يدعوه إلى الإسلام بجوار انطلاقه في حاجة امرأةٍ ضعيفةٍ أو ملاعبةٍ لطفل يتيم، ويُتأمل عطاؤه العطاء العظيم للفقير والمسكين مع تضوره جوعًا وربطه الحجر على بطنه، ويُقارَن بين مخالطته لأصحابه وتبسطه معهم وبين خلوته بربه وتعاهده لحظ نفسه، ويُساق خبر سؤالٍ ورد إليه فتوقف حتى نزل عليه الوحي من ربه ولّما يغادر مجلسه! ويُوصَف موقف له مع بعض أعدائه أراد قتله فأسلم من فوره فكان من وقتها من أكابر أوليائه!

إن مقصد المقاصد التي تنطلق منها دعوة التجديد في العرض أن تعاد كتابة السيرة النبوية بمدونةٍ يوميةٍ للأعمال المحمدية، تُظهر محمدًا ﷺ العابد المجاهد،

والزوج والوالد، والمعلم والقائد، كل ذلك في سياق يوم واحد!

وهو مشروع عظيم رائد، لو كان له رجال، وارتفعت بأقدارهم همم عالية كالجبال، وهو جدير بأن تُرصد له إمكانات كثيرة وأموال، وهو عمل موسوعي يستفرغ ما في كتب التفسير والحديث مما له تعلق بأحداث السيرة اليومية، ويستنطق كتب المغازي والسيرة بتلك الأحداث والوقائع، ويستنشد كتب الشعر والأدب بكل ما يتعلق بتلك الحقبة الزمنية المباركة، وينظر في كل دراسة نوعية في السيرة النبوية، ويراجع كتب أسباب ورود الحديث الشريف مع أسباب نزول القرآن الكريم، ويُآلف بين تلك الأحداث والوقائع وبين سياقاتها وسباقاتها ولحاقاتها، ويرتب ذلك كله بما يملأ الفجوات الزمنية التي تركتها كتب المغازي لعدم حاجة إلى إيرادها -وفق منهج مؤلفيها- أو لنقص معلومةٍ لم تتيسر في وقتها.

ويكون من ثمرات هذا العرض الجديد أن ننادي العالم بأسره هذا رسول الله محمد ﷺ، وتلك هي شخصيته، وهذه معالم رسالته، وتلكم جوانب الإعجاز في سيرته.

ويُرجى أن تخرج مخرجات كثيرة من هذه الموسوعة في السيرة تخاطب كل أحد وبكل لسان، وتظهر فضائل وشمائل النبي العدنان ﷺ، وتجتمع فيها جميع مقاصد التجديد السابقة، فهي عرض عقدي تربوي أصولي فقهي واقعي وحضاري للسيرة المحمدية على صاحبها أزكى صلاةٍ وأكرم تحية.

ولو أن مقارنة عُقدت بين أيامه ﷺ في مكة أو المدنية وبين أيام عظماء زمانه في بلاد الفرس والروم والهند ومصر وغيرها لأظهرت البون واسعًا شاسعًا، والهوة سحيقة بين قمته الخُلُقية السامقة، وقامته الحضارية الباسقة، وبين أهل ذلك الزمان وما تلاه من أزمان إلى يوم الناس هذا.

وتكفي إشارة في هذا الصدد لما سطره يراع رجل غير مسلم كتب كتابه عن الخالدين في تاريخ البشرية فكان محمد ﷺ رأس القائمة؛ بل هو في قائمةٍ وحده لا يشاركه فيها إلا إخوانه من النبيين والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الفصل الرابع

قواعد وضوابط في منهج التدوين

تمهيد:

بعد الحديث عن المقاصد يأتي الحديث عن القواعد والضوابط، وإن كان حديث المقاصد لم يخلُ من إشارة إلى تقعيد مهم وضبط متعين.

ومع هذا فإن التجديد في العرض فيه احتفاء واحتفال بالقديم، وإبراز لأصالة طابعه، وأصيل خصائصه، وتقوية لما ضعف منها.

وفيما يلي حديث عن الضوابط والقواعد التي تحكم عمل المجدد في تدوين السيرة النبوية وكتابتها.

المبحث الأول: العناية بالمصادر الشرعية الصحيحة وتقديمها

إن المصادر الشرعية الصحيحة للسيرة النبوية واجبة التقديم والتقدير على دعاة التجديد ورواده في السيرة **وذلك لاعتبارين:**

أولهما: لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية وذلك لاتصالها بالوحي الشريف من جهة مصدرها، ولثبوت ألفاظها بالنقل المتواتر في القرآن الكريم ومتواتر السنة، وصحيح آحادها.

ثانيهما: ما تدل عليه من السنن الربانية والنظرة الشمولية لتاريخ البشرية، مما يهيّئ المقدرة على اكتشاف السنن الربانية ومعرفة علاقاتها بالهدى والضلال والإيمان والعصيان ثبوتًا ونفيًا.

أولًا: القرآن الكريم وتفسيره وعلومه:

وإن لم يكن القرآن الكريم بالضرورة كتاب تاريخٍ إلا أنّه بالضرورة أيضًا أصح مصدر وأهم أصل تاريخي تستقى منه مادة للسيرة النبوية أو لغيرها؛ ذلك أن الصحة ميزته، قال عنه سبحانه: ﴿•◆ ③♦⌑✍♎⓿❍♎ ✃♒♐♑⌨♦⌚➲♎♒⇱ ✌♎♊✐ ✉✍◆✓⇙✗⇗ ③♦⑨⌧③⇙❍♎ ❒◆•• ⇳♊♎♊ ⌘⌧◘◙⌸♎❍♎⌚ ☎ ✍•✌⓿♉③♒⋖ ✌⋊♎♊⇳ ❍⌧⌸⑩⇳✌ ❒⌧☒⁋♎⑩⑨⌨﴾[فصلت: ٤٢].

فإذا كانت روايات السيرة أو أخبار الحديث قابلةً لأن تضم بين آحادها خبرًا غير صحيح، أو روايةً مشكوكًا فيها، أو تحليلًا أو تفسيرًا يبتعد عن الحقيقة، فإن القرآن الكريم وآياته بمنأى عن ذلك كله؛ إذ هو الحق المطلق[1].

---

(١) السيرة النبوية في القرآن الكريم، د. عبد الصبور مرزوق، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٦هـ، (ص٢٨، ٢٩).

• وإن الصورة الواضحة الصادقة لشخصية الرسول الكريمﷺ في القرآن الكريم، هي أصدق ما وصلنا من أخبار، وهي أصح وصفٍ لحقيقة سيرته وشمائله، ودلائل نبوته، وأخلاقه وخصائصه، وهي أوثق تقريرٍ لما كان عليه في جميع حالاته، سواء قبل بعثته مما يتعلق بيتمه وفقره، أو بعد بعثته وهجرته.

• وقد انفرد القرآن الكريم بخاصية دون غيره من مصادر السيرة –على تعدادها– ألا وهي تجليته لحالة النبيﷺ النفسية، وتصوير خلجات نفسه في كثير من المواطن، ولولا القرآن الكريم ما كدنا نعرف شيئًا عن ذلك، وهذا أمر مهم جدًّا نوازن بينه وبين مجموع سيرته الظاهرة لنتأكد من صدقه ونزاهته، وليتم الربط الصحيح بين تصرفه الظاهر وممارسته في الحياة والدعوة، وبين طويّته وسريرته الباطنة[1].

وتأمل قول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾[الأحزاب: ٣٧].

من يملك أن يكشف هذا الأمر الباطني إلا من يعلم السِّرَّ وأخفى؟!

والأمر يتعدى نبيّ اللهﷺ إلى أصحابه ﷺ، يقول تعالى: ﴿[illegible]

(١) مصادر السيرة وتقويمها، د. فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٤١٠هـ (ص٢٧–٢٨).

يَنْظُرُونَ﴾[الأنفال: ٥-٦].

ومثل هذا كشف طبيعة الكافرين ونفسية المنافقين، قال تعالى:

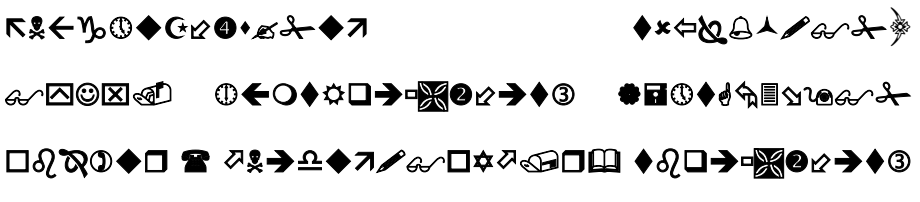

﴾[البقرة: ١٤٦].

وقال سبحانه: ﴿

﴾[النساء: ١٤٣].

• وبالإضافة إلى هذا فإن القرآن يضع هيكل السيرة كاملًا، وأساسياتها، وعددًا غير قليل من التفصيلات، والأحداث الجزئية المهمة، وإن كانت خلوًا من الأرقام والأعلام ليناسب ذلك جلاله وبهاءه، ودوامه وعموم لفظه وخطابه، ﴿

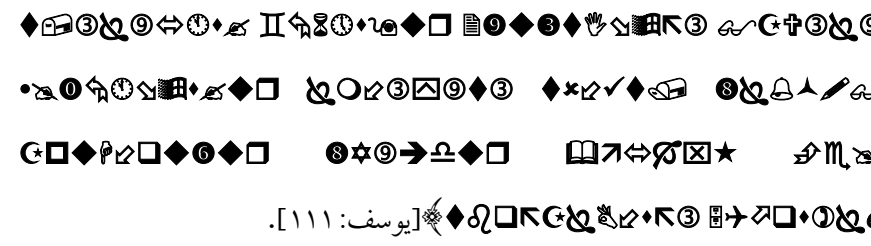

[يوسف: ١١١].

• إن المتأمل في الوصف التفصيلي الدقيق ليوم بدر وساحة المعركة، وموقع الفريقين في الأحزاب، وحالة المؤمنين في جهازهم لتبوك، ليعجب من دقة الوصف مع الإلمام بالوقائع، والإيجاز لحكمة بالغة.

ولا تغفل الآيات فقه السيرة، وعبرة أحداثها، ودروس تلك المواقف الخالدة، فيعقب السياق القرآني على بدرٍ فيقول:

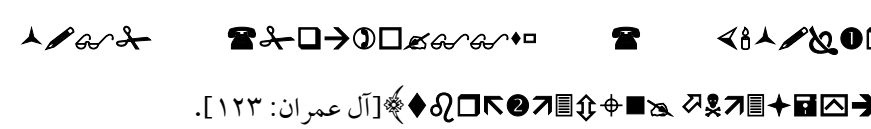

[آل عمران: ١٢٣].

ويعقب على أُحد فيقول:

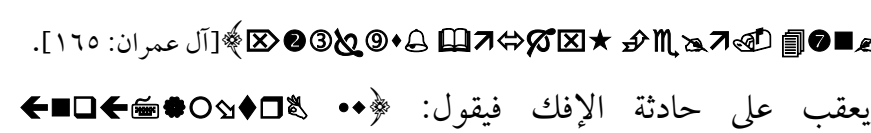

[آل عمران: ١٦٥].

ويعقب على حادثة الإفك فيقول:

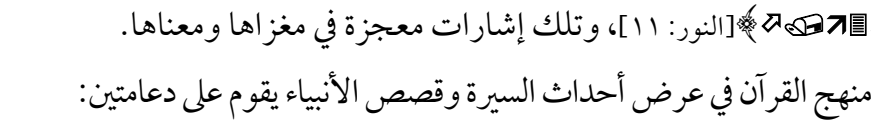

[النور: ١١]، وتلك إشارات معجزة في مغزاها ومعناها.

ومنهج القرآن في عرض أحداث السيرة وقصص الأنبياء يقوم على دعامتين:

أولاهما: الانتقاء، قال تعالى: ﴿ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې﴾[النساء: ١٦٤].

وهذا ينسحب على بعض أحداث السيرة بالضرورة.

ثانيتهما: التجريد، وهو عرض لبعض الأحداث بشكل مجرد عن ذكر السياق والتسلسل التاريخي.

وذلك لإرادة ترسيخ العبرة وتحقيق العظة، وتقوية الجانب الأخلاقي والتربوي من تلك الوقائع والأحداث[1].

وعلى ما تقدم فإن القرآن هو كتاب السيرة المعصوم في خبره المقطوع بثبوته، فهو أمام كل مصدر، وإمام كل كاتب ومتحدث في السيرة النبوية، وسيظل القرآن هو أهم معيار نقدي تردّ إليه أخبار السيرة ومروياتها.

• والقرآن يعطي من السيرة خبرها وعبرها من غير استقصاء لأحداثها؛ لأنه ليس كتاب تاريخ، بل هو دستور حياة، ومنهج يهدي للتي هي أقوم، فكل ما كان أقوم فالقرآن به أقوم، ولا يعني هذا إطراح ما لم يرد في القرآن من خبر صحيح، أو سيرةٍ قطعية متواترة.

وكتب التفسير تسفر عن مراد الله تعالى من كتابه، فلا بد لمريد علم السيرة من مطالعةٍ لكتب التفسير المأثور، كتفسيري ابن جرير (ت:٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت:٣٢٧هـ)، ونحوهما.

قال ابن تيمية: «أما التفاسير التي بأيدي الناس، فأصحها تفسير محمد بن جرير

---

(١) مصادر السيرة النبوية، د. ياسر نور (ص٢٩-٣١).

الطبري، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة، وليس فيه بدعة»[١].

ومروياته في السيرة وفيرة وتعليقاته عليها سديدة.

والتفسير بالمأثور وإن كان يعنى بنقل الخبر عن معاني الآيات إلا أنه يرتبط بأسباب النزول وتحديد المكيِّ والمدني.

يقول ابن تيمية: «معرفة سبب النزول تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب»[٢].

وعليه فإن السيرة النبوية هي قوام مادة هذا العلم، وأداة عمله على اعتبار أن الآيات نزلت منجَّمة ومفرقة على الأحداث والوقائع، وعلى هذا فلن يتسنى فهم النص القرآني إلا من خلال فهم سياق الحدث وخلفيته التاريخية.

ولا شك أن هناك أحداثًا قد ضبط المؤرخون وقت وقوعها بالاستناد إلى أسباب النزول[٣]، وإن كانت الأسباب قد تتعارض في الآية الواحدة، وعندئذ يصار إلى الترجيح عند عدم إمكان الجمع بتعدد القصص أو بتعدد النزول.

وبالجملة فإن من معالم التجديد في تدوين السيرة ومعاقده أن يكون الانطلاق في عرضها من كتاب ربنا وما صح من الآثار في تفسيرها وما رافقها من أسباب النزول المعتمدة في توثيقها.

ثانيًا: الحديث النبوي وشروحه:

قدمنا فيما سبق بيانًا لوثيق العلاقة بين السنة والسيرة، وأن السيرة تعتبر جزءً لا يتجزأ من الحديث النبوي[٤].

---

(١) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٢/ ١٩٢).

(٢) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (١٣/ ٣٣٩).

(٣) يراجع على سبيل المثال تحقيقهم لوقت غزوة بني المصطلق وأنها كانت في شعبان سنة ٦هـ لاقترانها بحادثة الإفك ونزول سورة النور في تلك السنة، وعليه تدل ترجمة البخاري للقصة في صحيحه.

(٤) السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، ط١، ١٩٨٨م، (ص٢٧).

وقد قال د. محمد حميد الله: «رحم الله البخاري، الذي سمى كتابه (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله وأيامه) ففيه: أمور رسول الله ﷺ: من قوله وفعله، وتقرير أفعال أصحابه بالسكوت، وفيه كذلك: ذكر أيامه وما حدث في عصره الشريف، لا فقط من أحوال المسلمين أو العرب، بل أيضًا معلومات من البلاد المجاورة، مثل: الحبشة والروم وفارس وغيرها»(١).

وهذا يدل على أن السيرة خرجت من رحم الحديث النبوي، وإن كانت السيرة استفادت من علم التاريخ الحرص على التسلسل في القصة واكتمال الأجزاء وترابط الأحداث، بدون تكرار قد يُمل، وربما عرضت السيرة لأحداث ما قبل الولادة وبالضرورة لأحداث ما قبل البعثة.

وإذا كانت مؤلفات المؤرخين قد خالفت مؤلفات المحدِّثين في المنهج وطريقة التصنيف؛ إلا أن هذا لا يمنع أن يكون الحديث الشريف هو عمدة مصادر السيرة بعد القرآن الكريم.

وكتب الحديث على اختلافها وتنوع مادتها وطريقة تصنيفها من الصحاح إلى المسانيد والمستدركات والمستخرجات، والأجزاء والمعاجم والموطآت ونحو ذلك تزخر جميعًا بمادةٍ ثريةٍ عن السيرة النبوية.

فإذا يمَّمنا وجهنا شطر صحيح البخاري الذي قال عنه ابن كثير: «وكتابه الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع العلماء على قبوله وصحة ما فيه، وكذلك سائر أهل الإسلام»(٢)، نجده رحمه الله يفرد عشرات الأبواب مما له تعلق بالسيرة.

وهو إلى جانب صحة الرواية يترجم لأبوابه بما يدل على الفقه في الدين والبراعة في

---

(١) سيرة ابن إسحاق، تحقيق د. محمد حميد الله، المقدمة: طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمملكة المغربية، ١٣٩٦هـ.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١١/ ٣٠).

التصنيف، ومن تلك الأبواب المميزة: (باب: فضائل النفقة في سبيل الله)، (باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال)، (باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى الإمام)، وهي أبواب ضمنها كتاب المغازي.

وعلى هذا سار رَحِمَهُ اللَّهُ في كتب الجهاد والسير، وفضائل الصحابة، ومناقب الأنصار وغيرها.

وعلى منواله نسج الإمام مسلم في صحيحه، مشترطًا تمحيض الصحيح من الروايات، مع عناية –من شراحه– بالتبويب الخاص بالسير والجهاد، وفضائل الصحابة وغيرها من الكتب والأبواب، ثم تأتي كتب السنن الأربعة، ومسند أحمد، وموطأ مالك، وغيرها من الكتب التي لم تلتزم الصحيح التزام الصحيحين، وتتميز تلك الكتب باعتماد الإسناد، ليتبين أمر الرواية بالوقوف على حال رجالها، وضبط طرق الرواية عن أعلام مدوني السيرة الأوائل.

وهذه الكتب بعد الصحيحين يقع فيها الضعيف مع الصحيح وقد تصدَّى لها العلماء فرووها بأسانيدها، ونبهوا على ضعف ما ضعف منها.

وقد قال أبو حاتم الرازي (ت: ٢٧٧هـ): «لم يكن في أمة من الأمم، منذ خلق الله آدم أمناء يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة»، فقال له رجل: يا أبا حاتم ربما رووا حديثًا لا أصل له، ولا يصح، فقال: «علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم، فروايتهم ذلك للمعرفة، ليتبين لمن بعدهم أنهم ميزوا الآثار وحفظوها»[١].

وينبغي لمريد التجديد في السيرة النبوية أن يضع نصب عينيه المعالم الآتية وهو يستقي السيرة من السنة النبوية المطهرة:

١- الجمع بين سياقات الآيات القرآنية، وروايات الأحاديث النبوية يقدِّم للدارس مادةً ثريةً، فإذا كانت تلك الأحاديث رواياتها مصححة، وطرقها منتقدة

(١) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي، (ص٤٢-٤٣).

ومعدَّلة، فقد حصل له من السيرة أوثقها ومن الأخبار أقومها.

٢- من الأهمية بمكان لدى تدوين السيرة المأثورة من القرآن والسنة الصحيحة أن يرتبط الدارس بفقهها، وأن يحرص على إبراز دروسها، لتفعل فعلها في الإصلاح والتهذيب، بدلًا من قصرها على التسلية وتزجية الأوقات، أو مجرد التبرك وتعطير الأسماع والقلوب.

وأحاديث السيرة المسندة تمس الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في عصر النبيﷺ وتبرز الجوانب الحضارية في صدر الإسلام.

٣- على المجدِّد في دراسة السيرة من الحديث النبوي أن يجمع مرويات السيرة، لا من كتب المغازي والجهاد والسير ونحوها فحسب؛ بل عليه أن يستثمر كل ما في السنة من روايات؛ ليقدم رؤية متكاملة في السيرة النبوية.

ولا شك أن هذا عمل كبير وجهد فذ لو أمكن أن يتحول إلى مشروع بحثي وفق ضوابط منهجية محددة.

ثالثًا: شعر الدعوة الإسلامية وكتب الأدب:

الشعر ديوان العرب، ومدونة التاريخ والحضارة، وكتب الأدب والشعر تعج بالأشعار التي حكت حياتهم في جاهليتهم الأولى، وما معلّقاتهم إلا لسان صدق يعبر عن حياتهم ويترجم عن أحوالهم.

وكتب الأدب التي صنفت خلال القرون الثلاثة الأولى تحمل شيئًا كثيرًا من ذلك.

وكتب السيرة ومدوناتها ملأى بأشعار تكاد تشمل مراحلها كافة، حيث أوردت تلك الكتب أشعارًا قبل مولدهﷺ مما يعتبر إرهاصًا لمولده، وأشعارًا تستبشر بولادته، تنقل تارةً عن أمه وتارةً عن جده، وأخرى عن عمِّه أبي طالب.

أما ما يتعلق بالفترة من بعثته إلى وفاتهﷺ فقلَّ أن نجد واقعةً لا أثر للشعر فيها ولا مشاركة للقريض بها، وهذه لمحات مختطفة، وباقات مقتطفة من أمثلة

للتذكير بهذا المصدر الثري.

فهذا عبد المطلب يروى عنه عند ورود الخبر بولادتهﷺ:

الحَمْـــدُ للهِ الَّـــذِي أَعْطَـــانِي هَـــذَا الْغُـــلامَ الطَّيِّـــبَ الأَرْدَانِ

قَـدْ سَـادَ فِي الْمَهْـدِ عَـلَى الغِلْـمَانِ أُعِيـذُهُ بِالْبَيْـتِ ذِي الأَرْكَـانِ

حتَّـــى أَرَاهُ بَـــالِغَ البُنيَـــانِ أُعِيـذُهُ مِـنْ كُـلِّ ذِي شَـنْآنِ

مِنْ حَاسِدٍ مُضْطَرِبِ الْعِنَانِ[1]

وفي أمر التحكيم في وضع الحجر الأسود بعد إعادة بناء الكعبة قال أبو هبيرة بن أبي وهب المخزومي:

تَشَاجَرَتِ الأَحْيَاءُ فِي فَصْلِ خُطَّةٍ جَرَتْ طيْرهُمْ بالنَّحْسِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ

تَلاقَـوْا لهَـا بِـالبُغْضِ بَعْـدَ مَـوَدَّةٍ وَأَوْقَـدَ نَـارًا بَيْـنَهُمْ شَرُّ مُوقِـدِ

فَلَـمَّا رَأَيْنَـا الأَمْـرَ قَـدْ جَـدَّ جِـدُّهُ وَلَمْ يَبْـقَ شَيْءٌ غَـيْرُ سَـلِّ الْمُهَنَّـدِ

رَضِـيْنَا وَقُلْنَـا الْعَـدْلُ أَوَّلُ طَـالِعٍ يَجِيءُ مِنَ الْبَطْحَاءِ مِنْ غَـيْرِ مَوْعِـدِ

فَلَـمْ يَفْجَنَـا إِلا الأَمِـيْنُ مُحَمَّـدٌ فَقُلْنَـا رَضِـينَا بِـالأَمِينِ مُحَمَّـدِ[2]

وهذا صرمة بن قيس رضي الله عنه يذكر بمقام النبيﷺ في مكة، يحتمل الأذى في سبيل دعوة الله فيقول:

---

(١) الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر- بيروت، ط١، ١٩٦٨م، (١/ ١٠٣)، الروض الأنف، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ، (٢/ ٩٨).

(٢) سبل الهدى والرشاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، (٢/ ١٧٢).

ثَوَى فِي قُرَيْش بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا[1]

وقال الصّدِّيق لما دخلا الغار:

قَالَ النَّبِيُّ وَلَمْ أَجْزَعْ يُوَقِّرُنِي وَنَحْنُ فِي سُدَفٍ مِنْ ظُلْمَةِ الغَارِ
لا تَخْشَ شَيْئًا فَإِنَّ اللهَ ثَالِثُنَا وَقَدْ تَوَكَّلَ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ[2]

وقال لما دميت إصبعه ﷺ في بعض المشاهد:

إِنْ أَنْتِ إلا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ الله مَا لَقِيتِ[3]

وقال عبد بن جحش رضي الله عنه يذكر هجرة الصحابة:

لَمَّا رَأَتْنِي أُمُّ أَحْمَدَ غَادِيًا بِذِمَّةِ مَنْ أَخْشَى بِغَيْبٍ وَأَرْهَبُ
تَقُولُ: فَإِمَّا كُنْتَ لا بُدَّ فَاعِلًا فَيَمِّمْ بِنَا البُلْدَانَ وَلْتُنْأَ يَثْرِبُ
فَقُلْتُ لَهَا: بَلْ يَثْرِبُ الْيَوْمَ وَجْهُنَا وَمَا يَشَأِ الرَّحْمَنُ فَالْعَبْدُ يَرْكَبُ
إِلَى الله وَجْهِي وَالرَّسُولِ وَمَنْ يُقِمْ إِلى الله يَوْمًا وَجْهَهَ لا يُخَيَّبُ[4]

وفي طريق الهجرة سُمع هاتف يقول:

جَزَى الله رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيْقَيْنِ حَلَّا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

(١) الروض الأنف، للسهيلي، (٤/ ١٩٤).
(٢) الروض الأنف، للسهيلي، (٤/ ١٤٢)، البداية والنهاية، لابن كثير (٣/ ٢٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٢)، ومسلم (١٧١٦)، من حديث جندب بن سفيان.
(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٨٢).

هُمَـا نَـزَلا بِـالْبِرِّ ثُـمَّ تَرَوَّحَـا فَـأَفْلَحَ مَـنْ أَمْسَـى رَفِيـقَ مُحَمَّـدِ[1]

فلما وصلا إلى المدينة تلقاهما أهلها منشدين:

طَلَـعَ الْبَـدْرُ عَلَيْنَـا مِـنْ ثَنِيَّـاتِ الْـوَدَاعِ

وَجَـبَ الشُّـكْرُ عَلَيْنَـا مَـا دَعَـا لله دَاعِ[2]

وهكذا بعد الهجرة دونت الأشعار تلك الأحداث وعبرت عنها أحسن تعبير وأجمله، ومظان هذا الشعر في كتب السير والتاريخ، ومدونات الحديث، وشروحه، وكتب الأدب، وفروعه، كالبيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، وطبقات الشعراء لابن سلام الجحمي (ت:٢٣١هـ)، والشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، والكامل في اللغة والأدب للمبرد (ت: ٢٨٦هـ)، وغيرها.

• ويمتاز هذا الشعر بالجملة بصحته، وإن كان لا يزال قسم منه بحاجة إلى نقد وتمحيص، وهذا لا يمنع من وجود جهود قديمة في هذا الصدد، ومن ذلك قول ابن هشام عندما أورد لامية أبي طالب: «هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها»، وعقّب عليه ابن كثير بقوله: «هذه القصيدة عظيمة بليغة جدًّا، لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه، وهي أفحل من المعلقات السبع، وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعًا»[3].

• ومما تمتاز به تلك الأشعار دقة الوصف وضبط الأعداد، ومن ذلك قول كعب بن مالك رضي الله عنه، وهو يصف غزوة أحد:

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسْطَهُ أَحَابِيْشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٠٠).

(٢) روى هذه القصة البيهقي في الدلائل (٢/ ٥٠٦) و(٥/ ٢٦٦)، وينظر زاد المعاد، لابن القيم (٣/ ٤٨١)، وفتح الباري، لابن حجر (٨/ ١٢٨-١٢٩).

(٣) البداية والنهاية (٣/ ٧٤).

ثَلاثَـــة آلافٍ وَنَحْـــنُ نَصِـــيَّةٌ ثَـلاثُ مِئِـيْنٍ إِنْ كَثُرْنَـا فَـأَرْبَعُ[١]

ومثل هذا شعر حسان في بدر وفتح مكة وغيرها[٢].

وهذا الشعر قد عني كثيرًا بعرض شمائل النبي ﷺ وبيان محاسن أخلاقه ودينه، ومن ذلك قول كعب بن زهير رضي الله عنه:

نُبِّئْـــتُ أَنَّ رَسُـــوْلَ الله أَوْعَـــدَنِي وَالْعَفْـوُ عِنْـدَ رَسُـولِ الله مَـأْمُولُ

مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ ـقُرْآنِ فِيْهَـا مَـوَاعِيظٌ وَتَفْصِـيلُ[٣]

ومنه قول أبي عزة في الرسول ﷺ:

مَـــنْ مُبْلِـغٌ عَنِّـي الرَّسُـوْلَ مُحَمَّـدًا بِأَنَّـــكَ حَـــقٌّ وَالمَلِيْـــكُ حَمِيْـــدُ

وَأَنْـتَ امْـرُؤٌ تَـدْعُو إِلى الحَـقِّ وَالهُـدَى عَلَيْـكَ مِـنَ الله العَظِـيْمِ شَـهِيْدُ

وَأَنْـــتَ امْـــرُؤٌ بُوِّئْـــتَ فِينَـــا مَبَـــاءَةً لَهَـا دَرَجَـاتٌ سَـهْلَةٌ وَصُـعُودُ[٤]

• وأخيرًا فإنه شعر مفعم بالعاطفة متأجج بالحماسة، ومن أوائل ذلك قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين رمى بأول سهم في سبيل الله، وكان في سرية عبدالله بن جحش:

أَلا هَـــلَ اتَـــى رَسُـــولَ الله أَنِّي حَمَيْـــتُ صَـــحَابَتِي بِصُـــدُورِ نَـــبْلِي

أَذُودُ بِهَـــا أَوَائِلَهُـــمْ ذِيَـــادًا بِكُـــلِّ حُزُونَـــةٍ وَبِكُـــلِّ سَـــهْلِ

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٩٢).
(٢) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٨٠، ٣٨٢-٣٩٢)(٤/ ٤٣).
(٣) سيرة ابن هشام (٤/ ١٦١).
(٤) سيرة ابن هشام (٢/ ٣٠٦).

فَـــمَا يعْتَـــدُّ رَامٍ فِي عَـــدُوٍّ بِسَـــهْمٍ يَـــا رَسُـــولَ الله قَـــبْلِي
وَذَلِـــكَ أَنَّ دِيْنَـــكَ دِيْـــنُ صِـــدْقٍ وَذُو حَـــقٍّ أَتَيْـــتَ بِـــهِ وَعَـــدْلِ[1]

وهذا ابن رواحة ﷺ يقود ناقة النبيﷺ في عمرة القضاء ويقول:

خَلُّـوا بَنِـي الْكُفَّـارِ عَـنْ سَـبِيلِهِ خَلُّـوا فَكُـلُّ الْخَـيْرِ فِي رَسُـولِهِ
يَـــا رَبِّ إِنِّي مُـــؤْمِنٌ بِقِيلِـــهِ أَعْـــرِفُ حَـــقَّ الله فِي قَبُولِـــهِ
نَحْـــنُ قَتَلْنَـــاكُمْ عَـــلَى تَأْوِيلِـــهِ كَـــمَا قَتَلْنَـــاكُمْ عَـــلَى تَنْزِيلِـــهِ
ضَرْبًـــا يُزِيـــلُ الهَـــامَ عَـــنْ مَقِيلِـــهِ وَيُـــذْهِلُ الْخَلِيـــلَ عَـــنْ خَلِيلِـــهِ[2]

ولا يغيب –مرة أخرى– عن مريد التجديد في هذا الميدان أهمية تخليص هذا الشعر من دخيله، والحرص على ثبوته وتوثيقه، وتقديم ما ورد منه في كتب الحديث وشروحه، ثم كتب السيرة والتاريخ، فكتب الشعر والأدب، ومعرفة مناهج مؤلفيها، ومذاهب كاتبيها.

وما ورد من أشعار الهجاء التي قالها الكفار أو خاض في مستنقعها المنافقون والفجار فحقها المحو أو النسيان.

وصفوة القول:

- فإنه يتعين على رواد التجديد في عرض السيرة أن توجهوا الجهود أولًا إلى غربلة كتب التفسير بالمأثور والحديث وشروحه من كل ما لا يقبل وينكر إيراده في سيرة النبيﷺ.
- ثم يعتنى بنقل الأخبار من شهودها المشاركين فيها، ومن أصحابها الذين

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٩).
(٢) سيرة ابن هشام (٣/ ٤٢٥).

تعلقت بهم، فإن ذلك أولى وأحرى، ولا سيما عند الاختلاف بين الروايات والتعارض بين السياقات.

• كما تلزم الإفادة من تلك الرسائل الجامعية والدراسات الموسوعية التي عنيت بنقد مرويات السيرة، والتي اضطلعت الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية وكلية الحديث بها بالقسم الأكبر منها، والقدح المعلى فيها[1].

• ولا امتراء في أهمية النقد الحديثي وتمييز صحيح المرويات من سقيمها، مما يزيد اليقين بصحة تلك الوقائع المروية في السيرة، ويضيف إليها المهم المفيد من المعلومات، ويوضح بعض الجوانب، و يرجح بعض السياقات، ويعدل في بعض الموضوعات، ويبرهن على حرص المصنفين على نقل كل ما يتعلق بسيرة خاتم النبيين ﷺ.

(١) يراجع: السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، فقد ذكر عددًا منها (١/ ٢٣-٢٤).

المبحث الثاني: اتخاذ الموقف الصحيح من المصادر الأخرى

قدمنا ما بين المحدّث والمؤرخ من تفاوت في المنهج وطريقة التصنيف، وقد اشترط بعضهم في المؤرخ ما يشترط في المحدث، وفي رواية السيرة ما في رواية الحديث[١].

غير أن الصواب التفصيل فحيث تعلق الأمر بعقيدة أو شريعة، أو كان خاصًّا بالنبيﷺ في شخصه، أو بأحد من الصحابة ﷺ فيجب التدقيق في رواة الخبر ونقلته، وكذا إذا تناول بعض الأئمة والعلماء ثابتي العدالة بثلب أو تجريح «لأن كل من ثبتت عدالته لا يقبل جرحه حتى يتبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه»[٢].

أما إذا لم يكن الخبر متعلقًا بشيء من ذلك أمكن التساهل فيه من غير رواية عن كذّاب أو وضاع أو شديد الضعف ونحو ذلك.

والأخبار التاريخية المنقولة عن الأخباريين تحتل مكانها المناسب في الدراسات التاريخية من غير إفراط وبحذر.

وشروط قبول رواية المؤرخ نوعان:

النوع الأول: شروط تتعلق بذاته.

النوع الثاني: شروط تتعلق بروايته.

أما ما يتعلق بذاته من شروط فهي:

١ – العدالة:

---

(١) ينظر موقف الكافيجي، وقد تقدم (ص ٣٣).

(٢) التهذيب، لابن حجر (٧/ ٢٧٣).

وهي صفة تحمل صاحبها على السلامة من الفسق وخوارم المروءة[١].

٢- معرفة الأصول المنهجية في النقد، والموازنة بين الروايات المتعارضة:

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات، وجهل وظلم في الكليات، فيتولد فساد عظيم»[٢].

٣- الإلمام بالأحكام الشرعية وبأحوال الناس ومنازلهم:

فلا غنى بالمؤرخ أن يكون ملمًّا بالأحكام الشّرعية وأصولها، ضابطًا لمدلولات الألفاظ ومواقعها، عارفًا بأحوال الناس ومنازلها.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذين الأصلين المهمين في الأحكام: «أحدهما: المعرفة بحالتهم، والثاني معرفة حكم الله في أمثالهم»[٣].

٤- ملازمة التقوى والورع مع التثبت:

قال السخاوي: «ومتى لم يكن ورعًا مع كونه معروفًا بالعلم، اشتدّ البلاء به، بخلاف العكس، فالورع والتقى يحجزه ويوجب له الفحص والاجتهاد وترك المجازفة»[٤].

٥- الإنصاف واجتناب الغرض والهوى:

قال ابن القيم: «والله يحب الإنصاف، بل هو أفضل حلية تحلىَّ بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد

---

(١) اختصار علوم الحديث، لابن كثير مع شرحه الباعث الحثيث، ت: أحمد محمد شاكر، دار التراث، ط ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م (ص٧٦).

(٢) منهاج السنة النبويّة، لابن تيمية، جامعة محمد بن سعود، ت: محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ (٥/ ٨٣).

(٣) مجموع الفتاوي، لابن تيمية (٢٨/ ٥١٠).

(٤) الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي (ص١٢٢).

قال تعالى: ﴿ ﴾[الشورى: ١٥].

فينبغي أن يجتنب المبالغة والمجازفة في الأحكام، وذلك بحسب حال الرضا والموافقة، أو حال الغضب والمخالفة.

وأما ما يتعلق بروايته فهي[٢]:

١- اعتماد اللفظ دون المعنى:

بأن ينقل نص الكلام دون معناه، ولا يتصرف فيه بتقديم ولا تأخير.

٢- أن يسمي المؤرخ المصدر الذي نقل عنه:

وذلك حتى تعرف مصادره وتختبر موارده.

٣- أن يكون نقله مضبوطًا:

فلا يجوز أن يأخذ من الشيخ في أثناء المذاكرة، ثم يدونه بعد ذلك.

٤- التحري فيما يراه من الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر الأول من الصحابة رضي الله عنهم:

وذلك لما أمرنا به من الإمساك عما كان بينهم والتأويل له بما لا يحط من مقدارهم، ويلتحق بذلك ما وقع بين الأئمة، لاسيما المتخالفين في المناظرات والمباحثات[٣].

يقول السبكي: «لا يزال طالب العلم عندي نبيلًا حتى يخوض فيما جرى بين

---

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم، ت: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ط ١٩٧٣م، (٣/ ٩٤).

(٢) يراجع: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين السبكي، ت: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة مكتبة عيسى البابي الحلبي، ط١ (٢/ ٢٢).

(٣) الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي (ص٦٤- ٦٥).

السلف الماضين، ويقضي لبعضهم على بعض»[١].

فإن كان المؤرخ أو صاحب السير من أهل الأهواء والبدع فهو على ضربين:

أولًا: من كانت بدعته مكفرة:

مثل غلاة الشيعة والرافضة، الذين يسبون الشيخين، ويكفرون أصحاب النبي ﷺ، ومثلهم الباطنية والإسماعلية، والقرمطية، والنصيرية، والحلولية، فهؤلاء لا تقبل لهم رواية ولا يؤخذ عنهم[٢].

ثانيًا: من كانت بدعته غير مكفرة:

فلا تقبل رواية تدعو إلى بدعة، وما عدا ذلك يقبل، إن كان معروفًا بالصدق والديانة، والورع والضبط، فإن عرف بالتعصب لبدعته فلا يقبل ما يرويه مما له تعلق بأهل السنة، فإن كان لا يعرف بالتعصب ولا يلحظ ذلك في خبره فيقارن خبره بغيره من الأخبار[٣].

---

(١) قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين، للسبكي، ضمن أربع رسائل في علوم الحديث، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، (ص٦٠).

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ت: علي محمد البجاوي، طبعة دار المعرفة، بيروت، (١/ ٤).

(٣) منهج كتابة التاريخ، د. محمد بن صامل السلمي، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (ص٢٥٥).

المبحث الثالث: الجمع بين المناهج المنضبطة والعلوم المترافدة

لقد ضبط أهل الحديث المتقدمون منهجهم بقواعد محكمة وشيدوا بنيانهم على أسس ثابتة، وسار المؤرخون على منهج أقل في الضبط والإحكام؛ لأسباب ودوافع معروفة، ولم يمنع هذا أن يكون المؤرخ محدِّثًا، ولا المحدّث مؤرخًا.

ولكن في القرون المتأخرة ضعفت العناية بالأسانيد، واضمحلت الرعاية لنقد المتون، فجاءت الكتابات المعاصرة في السيرة والتاريخ خلوًا من تمييز المقبول والمردود من الروايات والأخبار، وبالمقابل وجد من يعتني في العصر الحاضر بالنقد التاريخي وفقًا لمناهج النقد عند علماء الغرب، من غير أن يراعوا خصوصية تلك المناهج لكتابات الغرب، ومن غير أن يتنبهوا لخصوصية السيرة النبوية، ودوافع السلوك عند المسلمين.

ولا شك أنه من الخذلان أن تولِّي الدراسات التاريخية النقدية وجهها شطر المنهج الغربي بالتزام حرفي، وتدير ظهرها للدراسات النقدية للرجال في علم الجرح والتعديل، والدراسات النقدية للمتون ومعايير نقدها عند المحدثين.

ولو أنه حصل الجمع بين المنهجين؛ النقدي الحديثي الإسلامي لخصوصيته وأصالته، والغربي لمعاصرته وسهولته، وأضيف إليهما العقلي الأصولي، بحيث يحكم منهجُ المحدثين منهجَ النقد الغربي بمعايير التصور الإسلامي، فعندئذٍ تتجلى الفوائد وتجتمع المصالح.

وقد سبق التنبيه إلى أهمية الجمع والمزاوجة بين الدراسات الاجتماعية الحديثة، والعلوم التربوية، وعلم السيرة.

كما تتأكد العناية هنا بعلوم أخرى كالفقه والأصول والتوحيد في نقد المتون

الحديثية والتاريخية، وتظهر بجلاء أهمية الإشارة أيضًا للجوانب التشريعية من خلال السيرة النبوية، لتتضح الجوانب الخلقية والقانونية التي تحكم الأفراد والمجتمعات الإسلامية، حيث لا يتأتى الفصل -لمن يريد التجديد- بين السياسي والعسكري والأخلاقي والتشريعي، خاصة في القرون الأولى من تاريخ الإسلام، حيث تتشابك العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بالعقيدة والشريعة تشابكًا وثيقًا بحيث يصعب فهم حركة التاريخ في تلك المرحلة دون فهم روح الإسلام ومبادئه[1].

(١) السيرة النبوية الصحيحة د. أكرم ضياء العمري (١/ ١٧، ١٨).

المبحث الرابع: التأكيد على المعجزات النبوية جميعًا مع الدلائل والخصائص والشمائل

عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى جمع لنبينا أنواعًا من المعجزات والخوارق، وأن الله تعالى قد يكرم بعض أوليائه بشيء من الكرامات.

ومن معجزاته ﷺ ما نص القرآن على حصوله كالإسراء وانشقاق القمر، وبعضها ثبت في السنة الصحيحة، كتكثير الطعام بين يديه، ونبع الماء من بين أصابعه، وحنين الجذع إليه، وتسليم الشجر والحجر عليه، وإخباره بالمغيبات ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وقد جمع الله لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق...».

وقال عن الكرامات: «وأما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم فمثل عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلًا،... وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس»[(١)].

ولا شك أن هذا فيه رد بالغ على رواد المدرسة الإصلاحية الذين سبق أن من مناهجهم إنكار المعجزات الكونية بتأويلاتٍ واهية لا تصمد أمام التحقيق العلمي.

ولا امتراء أيضًا أن إثبات المعجزة الخالدة (القرآن الكريم)، ونفي بقية المعجزات الثابتة بالنقل الصحيح إنما هو في الحقيقة خضوع وانصياع للفكر المادي، والفلسفات الوضعية، ولا بد للمسلم من الاستعلاء والاعتزاز الذي يحقق له الاستقلال التام في النظر والبحث العلمي[(٢)]، ومن ثم فإن من مقاصد التجديد في كتابة السيرة وعرضها إثبات المعجزات الحسيّة في سيرة النبي ﷺ

(١) مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية، ط، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،(٥/ ٤-٦).
(٢) السيرة النبوية الصحيحة، د.أكرم ضياء العمري (١/ ١٧).

عندما تثبت بالنقل الصحيح من غير تعرض لها بتأويل أو تضعيف أو إنكار.

وتعتبر دلائل النبوة أوسع موضوعًا من المعجزات؛ لأنها تشمل بشارات الكتب السابقة وبشارات الأنبياء والمرسلين، وإخباره ﷺ بالأمور الغيبية التي حدثت أو التي ستحدث، فالدلائل بالجملة استدلال على النبوة على غير شرط التحدي(١).

وأما الخصائص فيقصد بها ما انفرد به النبي ﷺ عن غيره سواء على صعيد الأنبياء ككونه خاتمهم، أو على صعيد أمته فيما اختص به من أحكام كجواز النكاح فوق أربع، أو ما انفردت به أمته عن غيرها من الأمم كحل الغنائم(٢).

وأما الشمائل فتتناول أخلاقه ﷺ وصفاته، وفضائله وسلوكه مع أزواجه وأهل بيته، وأصحابه والناس أجمعين، مع وصف خلقته الشريفة، وما متعه الله به من الكمالات(٣).

والعلماء قديمًا وحديثًا عنوا بتلك الأبواب جميعًا وخصوها بالتأليف المستقل، وضمّنها أهل الحديث في أبواب من كتبهم، وهي جميعًا تفيد دارس السيرة مزيد يقين في نبوة خاتم النبيين، وتملأ صدره من محبة خَلْقه وخُلُقه، وتمده بمعلومات مفصَّلة عن حياته الخاصة والعامة، ولو أن تلك المعلومات المفيدة رصفت جنبًا إلى جنب مع أحداث السيرة وأخبارها مشفوعةً بدروسها وعبرها لكانت في سياق أمثل، ولكانت الفائدة منها أكمل.

---

(١) من كتب الدلائل: «دلائل النبوة»، للبيهقي، «أعلام النبوة»، للماوردي.

(٢) من كتب الخصائص: «غاية السول في خصائص الرسول»، لابن الملقن، «الخصائص الكبرى»، للسيوطي.

(٣) من كتب الشمائل: «الشمائل النبوية»، للترمذي، «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية»، للقسطلاني.

المبحث الخامس: تفسير الأحداث وفقًا للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح

إن كلمة المنهج قد تطلق ويراد بها القيم والمبادئ التي يلتزمها الباحث، وقد تطلق ويراد بها طريقة معينة في البحث العلمي لمادة من المواد.

والمنهج الإسلامي لدراسة التاريخ يعني -في التصور الأول- تلك التصورات والمبادئ الإسلامية التي تمثل منطلقات عامة وأساسية تحكم دراسة التاريخ وتفسيره وفقًا لما هو منبثق عن الإسلام.

وقد مضى حديث عن المنهج بمعنى قواعد الإثبات والتوثيق، وعن الخلل المنهجي في هذا وسبل تلافيه.

والمنهج بالمعنى الأول هو ما يدور عليه البحث؛ فالإسلام بعقيدته الصحيحة ومفاهيمه المستقيمة يقف خلف كل ما بناه المسلمون من حضارة؛ ذلك أن المسلم -أيًّا كان موقعه- منتسب إلى عقيدته، لا يخرج عن ثوابتها، وعنها يصدر في جميع تصرفاته، فهي بمثابة الدافع للسلوك والحاكم لها وعليها، وفي ضوئها تفسر حركة المسلم فردًا كان أو جماعة.

ولا بد للباحث في تفسير أحداث السيرة أن ينظر إلى الإيمان بالدار الآخرة عند المسلمين كمحرك أساس لطلب الشهادة، والتضحية بالمال والإنفاق، والورع والصدق، والوفاء والصبر، ونحو ذلك.

وعلى هذا الأساس من الالتزام بصحيح المعتقد تقاس أعمال الباحثين في السيرة، وجهود المؤرخين، وتوزن مناهجهم وطرائقهم في التأليف.

لأن الباحث المسلم ليس مطلق الحرية في اتخاذ المواقف وتفسير الحوادث وتقييمها كيفما عنَّ له الخاطر، والمفهوم العقدي للمنهج في تفسير الأحداث والالتزام به في البحث والدراسة مفرق الطريق بين الباحث المسلم وغيره، فمن

عرف ربه ورضي به ربًّا وبالإسلام دينًا يعرف من هو، وما دوره، وما مصيره في الحياة وبعد الممات فهو في طمأنينة واستقرار فكري، بخلاف من هو من ذلك في شك، فهو يخبط بالظنون والأوهام ويرجم بالغيب.

وقف الكون حائرًا أين يمضي-؟ ولـماذا وكيـف لـو شـاء يمضي-

عبــث ضــائع وجهــد غبــين ومصــير مقنــع لــيس يــرضي

فحق على من يتصدى لأحداث السيرة خاصة أن يكون ذا عقيدة صحيحة ودراية بعلوم الشريعة، إضافة إلى تخصصه، وإلا أصبح تفسير الأحداث ألعوبة لمناهج أهل البدع والأهواء[١].

«إنه لمن الصعب التصور بإمكان دراسة الحياة الإسلامية كاملة دون إدراك كامل لروح العقيدة الإسلامية، وإدراك التصور الإسلامي عن الله والكون والحياة والإنسان، ولطبيعة استجابة المسلم لتلك العقيدة وطريقته في الاستجابة للحياة كلها في ظل العقيدة، وهذه الخصائص لا توجد عند غير الباحث المسلم الملتزم بإسلامه»[٢].

ولا شك أن الإخلال بهذا الأمر قد أوقع عددًا من الكاتبين في سيرة خير الأنام وتاريخ الإسلام في أخطاء كبيرة.

فهذا ينكر نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وآخر يتشكك في المهدي، وثالث يتهكم ببعض ما ثبت من الغيبيات يوم القيامة!!

وآخرون ممن اختل منهج التقويم الحضاري بأيديهم يحمِّلون الإسلام مسئولية التخلف الحضاري للأمة الإسلامية اليوم، بل ويحمّلونه مسئولية الهزائم

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، د. محمد بن صامل السلمي (ص٩١).
(٢) في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب (ص٤٦).

العسكرية والتخلف التقني، ويؤمنون بضرورة عزل الأمة المسلمة عن تاريخها المشرق، وفصلها عن تراثها المجيد، ويزعمون التجديد فيما يكتبون، وما هم إلا أبواق مكشوفة، وصنائع مقهورة، وربائب مفضوحة للاستشراق ودهاقنته.

وآخرون يقفون مبهورين أمام مخلَّفات حضارات قامت على العبودية لغير الله، ويشيدون بها مشدوهين برموز تلك الحالة غير الحضارية كأصنام ممثلة، أو قبورٍ مشيَّدة، أو أسحارٍ محرَّمة، أو أفكارٍ ضارّةٍ مجرَّمة.

والله تعالى يقول: ﴿ [الحديد: ٢٥].

والتفسير الإسلامي للحوادث والتاريخ يستمد نظرته ومنهجه من أصول الإسلام ومصادره، وهذا سرٌّ من أسرار المفارقة بينه وبين غيره من المناهج، فليس تفسيرًا تبريريًّا(١)، بل تبرز فيه خصائص الإيمان المستعلي على ما سواه.

وليس تفسيرًا ماديًّا يحصر المؤثرات على حركة الحياة والأحياء في عوامل مادية كتبدل وسائل الإنتاج -كما هو عند الماركسيين- أو عوامل خارجية كالمناخ والاقتصاد والجغرافيا -كما هو عند الغربيين- بل هو يوضح دور الإنسان ومسئوليته عن التغير الاجتماعي والتاريخي في إطار المشيئة الإلهية(٢).

---

(١) فلا يحتاج إلى أن يعتذر أو يدافع أو يشعر بانهزامية لشيء حدث في الماضي إذا خالف مواصفات العصر الحاضر، كالجهاد أو الجزية أو الرق ونحو ذلك.

(٢) إعادة كتابة تاريخ صدر الإسلام، د.أكرم العمري، محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، (ص٣).

وهو أيضًا ليس تفسيرًا طائفيًّا يبحث عن مصالح فئة ويدعم أخرى، وإنما هو محكوم بعبودية الله تعالى ولوازمها.

فالتزام الباحث بمنهج العقيدة الصحيحة يرسم له طريقة التعامل مع الحدث وكيفية معالجته، ودرسه، وأخذ العظة والعبرة منه، ولا يتصور عندئذ أن يخالف أصلًا من أصول العقيدة حين يكتب في تفسير الأحداث وتحليلها، فهو مرتبط بها منطلق فيها؛ إذ الانطلاق منها هدف وغاية معًا، وكما أن العقيدة محدد منهجي تاريخي، فإن المنهج التاريخي يعتبر من وسائل تثبيت العقيدة والسعي في تطبيقها.

وغني عن البيان أن السيرة ملأى بتصرفات متعددة للنبيﷺ وهي تصرفات تختلف مقاماتها ومراتبها، والفقيه يتعين عليه أن يفرق بينها عن طريق إدراك مقامات أقواله وأفعاله وتقريراتهﷺ، فتارة تخرج هذه الأفعال من مقام التبليغ وتارة من مقام الإمامة وتارة من مقام الفتيا، وبعضها عام وبعضها خاص، وبعضها ملزم، ومنها ما ليس كذلك، وإذا كان مقام التبليغ عامًّا فإن بقية المقامات ليست كذلك، بل تتوقف على اجتهاد الإمام لارتباط القضاء والفتيا والإمامة بالمصلحة، والمصالح تتغير بحسب الأشخاص والأحوال والأوقات، ونحو ذلك.

وقد صنف القرافي كتابه «الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام» للتفريق بين منصبي الإمامة والفتيا. ولا شك أن المقام الحالي، والظروف والملابسات التي ترد فيها الحادثة أو الواقعة، وملاحظتها عند محاولة الفهم أو الاستنباط هو ما يعرف عند الأصوليين بدلالة السياق، وعليه فإن دراسة السيرة واستنباط الدروس منها يجب أن يكون بمراعاة سياق الأحداث وسباقها ولحاقها وأثرها في النتائج، ومراعاة الفارق بين مختلف المقامات، والتمييز بين ما يرد عنهﷺ بوصفه مشرّعًا مبلِّغًا، وما يرد عنه بوصفه إمامًا وقاضيًا.

ويلتحق بذلك النظر إلى متعلقات أفعاله ﷺ في حياته وتصرفاته، فمثلًا إذا استعان ﷺ بأدواتٍ معينة فإن ذلك لا يعني بالضرورة وجوبها أو استحبابها، وإنما يدل ذلك على الجواز كاستناده إلى الجذع عندما كان يخطب، أو استلامه الركن بالمحجن، أو الخُمرة التي كان يضعها فيسجد عليها.

كما يقال مثل ذلك في جنس المواد المستعملة، فإنما يختارها أيضًا بحسب المصلحة، فقد بنى مسجده ﷺ من الطين وسعف النخيل، وفرشه بالرمل أو الحصباء، وكان منبره مصنوعًا من أثل الغابة، فلا يدل ذلك على أكثر من الإباحة ما لم يعلم تخصيص ذلك الجنس لغرض شرعيّ، فيكون بخصوصه مستحبًّا، وما سوى ذلك فينظر إلى ما يحقق المصلحة فيعمل به؛ كبناء المسجد الآن بـ(الأسمنت المسلح)، وفرشه بالسجاد وغير ذلك[1].

(١) يراجع أفعال الرسول، د. محمد الأشقر (١/ ٤٥٧).

المبحث السادس: الحذر من الإسقاط التاريخي عند تفسير الأحداث

والمراد بالإسقاط التاريخي تفسير الأحداث، وتقييم الملابسات، لا بما تقتضيه طبيعة الحدث وما احتف به من مناخ إنساني، وإنما النظر إليه من خلال اللحظة الراهنة، وإنزاله على وقائع جديدة، ومتغيرات غريبة عن بيئة الحدث، وبالتالي يجري إخضاع حقائق الموقف التاريخي القديم، لتحكمات العواطف السياسية أو الاجتماعية أو المذهبية الراهنة، أو لتوجهات فكرية معينة، ومن ثم يصار إلى قسر الموقف التاريخي على النطق بما تمليه تلك التحكمات(١).

وقد شاعت ظاهرة الإسقاط التاريخي في كثير من الدراسات التاريخية المعاصرة، وحاول كل صاحب نزعة فكرية إخضاع حقائق التاريخ لمفاهيم نزعته، غير متحرج أن ينسب إلى رجالات التاريخ العظام أفكار مذهبه المبتدع وتقولات رجاله، فبرزت دراسات تحمل اسم اليمين واليسار في الإسلام، ودراسات تبحث في ديموقراطية واشتراكية الإسلام.

فتاريخ الصحابة فيه يمين ويسار! وتاريخ العقيدة فيه يمين ويسار، وللتمثيل فحسب -والأمثلة كثيرة- يقول صاحب كتاب حياة محمد: «.. فكان من بين أصحاب النبي غلاة في الاشتراكية يجعلون كل ما خلق الله ملكًا مشاعًا ومرفقًا عامًّا..!!»(٢).

ويقول صاحب كتاب «محمد والقوى المضادة»: «وفي الإسلام دولة مدنية يختار رئيسها من بين المدنيين، ويطلب إليه تطبيق أحكام الدين»(٣).

---

(١) التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان أمامة (ص٢٥٣).

(٢) حياة محمد، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط١٤، (ص٥٤٢-٥٤٣).

(٣) محمد والقوى المضادة، د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، (ص٥٢).

وفي كتاب: «السيرة والبحوث الإسلامية» والذي يدرَّس بدولة اليمن الجنوبي (سابقًا)، وتحت عنوان «خلافة عثمان بن عفان وانفجار الصراع بين الجناح اليميني والجناح الديموقراطي في الإسلام»: «يعتبر عليّ مؤسس الاتجاه الديموقراطي في الإسلام بينما عثمان حامي الجناح اليميني، وفي عهد عليّ نشط الجدل الفكري الاجتماعي الذي ولّد فيما بعد الاتجاهات الفكرية التقدمية في المدن التجارية الإسلامية: كالشيعة، والخوارج، والقرامطة، والمعتزلة، وإخوان الصفا»[1].

ولا يمكن بحال اعتبار هذا إنما وقع بحسن نية أو عن غير قصد، وإنما هو الدسّ والتحريف.

(١) السيرة والبحوث الإسلامية، الكتاب المقرر على الصف الثالث الإعدادي، بدولة اليمن الجنوبي، (ص٢٤).

المبحث السابع: الابتعاد عن المجازفة بالأحكام التعميمية

من الأهمية بمكان التأني قبل إصدار الأحكام، لاسيما إذا كانت عامة، أو كانت ممتدة لرقعة زمانية أو مكانية أو أممية واسعة، فلا يطلق حكم عام على أهل بلدٍ أو جنسٍ قبل حصول الاستقراء التام، كما يتعين التأني في التحليل للروايات، واستبعاد النظرة التجزيئية للقضايا أو التسطيح المتعمد للظواهر التاريخية.

فلا يتأتى في منهج العدل أو الإنصاف أن يحكم على مجتمع بالخلاعة من خلال شعرٍ متهتكٍ لرجل أو رجلين، ولا يصلح أن يوصم حكم خلافةٍ إسلاميةٍ بالظلم لوجود حاكم ظالم أو حاكمين من بين حكامها.

ولا يدمغ مجتمع بالزندقة لوجود طائفة عرفت بذلك فيه، كما لا يحكم على فرد بمجرد انتسابه إلى فئة، «والله يحب الإنصاف؛ بل هو أفضل حلية تحلَّى بها الرجل، خصوصًا من نصب نفسه حكمًا بين الأقوال والمذاهب، وقد قال تعالى: ﴿ ﴾[الشورى:١٥]»[1].

ومن نواقض الإنصاف أن يحكم على شخص في مرحلة معينة من تاريخ حياته، فمن حكم على أبي الحسن الأشعري -مثلًا- في أول أمره قال عنه: كان معتزليًّا، ومن حكم عليه في المرحلة الثانية قال عنه: كان ملفِّقًا، في حين أنه كان آخر أمره سلفيًّا!!

ولا يعارض هذا ما تقرر من أن الحكم على الناس في الدنيا بحسب ما يظهر منهم من غير أن يفتش في بواطنهم، فمن كان ظاهره الإيمان حكم له به، ومن كان ظاهره

(١) إعلام الموقعين، لابن القيم (٣/ ٩٤).

خلافه حكم عليه به، والمعتبر في ذلك آخر أمر المكلف وخاتمة حاله، والقاعدة أن الأحكام يعمل فيها بالظواهر والله يتولى السرائر[١].

«ومن نواقض الإنصاف في الأحكام: إغفال القرائن المحتفة بالأخبار، قبل قبولها أو ردها، فرب قائل كلمة حق أراد بها محض الباطل، كما قال عليّ ﷺ للخوارج»[٢].

قال ابن القيم: «والكلمة الواحدة يقولها اثنان يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل وسيرته ومذهبه، وما يدعو إليه ويناظر عنه» [٣].

تقولُ هذا جَنَى النَّحلِ تمدحُهُ وإن شئتَ قُلتَ ذا قيءُ الزنابيرِ

مَدْحًا وذَمًّا وما جاوزتَ وصفَهما والحقُّ قد يعتريه سُوءُ تعبيرِ

فتعين على المؤرخ والمحلل لأحداث السيرة النبوية ومواقف الصحابة أن يتحلَّى بالعلم والعدل والإنصاف في الأحكام، وترك التعميم قبل الاستقراء التام.

---

(١) شرح مسلم، للنووي (٢/ ١٧).

(٢) الإحكام في قواعد الحكم على الأنام، د. محمد يسري، دار اليسر، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، (ص١٥).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م، (٣/ ٥٢١).

المبحث الثامن: استعمال المصطلحات الشـــرعـــية والصـــحـيحـــة

إن المصطلحات الشرعية هي قوالب صحيحة للمعاني المستقيمة التي يراد التعبير عنها، والمصطلحات الشرعية سواء أكانت عقدية، أم فقهية، أم غير ذلك لها دلالتها الخاصة والثابتة والمهمة في تقييم الأحداث والأشخاص.

والعدول عن تلك المصطلحات مغامرة لا تحمد عواقبها، واستبدالها يعني وقوعًا في أسر مصطلحات غريبة عن ثقافة الشرق وعقيدته؛ إذ المصطلحات بالجملة لها دلالتها التاريخية والاجتماعية والثقافية التي تترجم عن حال المجتمع الذي خرجت منه.

والبحث عما يقابل أو يناظر مصطلحات أهل الإسلام عند غيرهم بحث لا تتحقق فيه الصراحة والموضوعية، لما ذكرنا من خلفيات الاصطلاح وإشكالياته الحضارية، فإلباس الشورى الإسلامية لباس الديموقراطية الغربية عبث يقترب من التحريف المعنوي.

والزعم بأن الاشتراكية الشيوعية تُرادف التكافل الاجتماعي تلبيس وتشويه وتلويث للمنهج الإسلامي.

ومثل هذا يقال في الثيوقراطية، والديكتاتورية، والليبرالية، وغيرها.

فالناس في الاصطلاح الشرعي: مؤمن وكافر؛ قال سبحانه: ﴿ ◆❑➔♎ ⌧❷♌▫🕭•🖹 ⌧❽♌🕭➴🖋✍✂ ⬀🗪↗▤♦◑■🗗♦❁ ⬀🗪↗▤♦☺♌⟳↗▤🗪⬀ ▫♦☺♌⟳▤↗🗪◆❑ ✎♌⟳▤↗🗪◆⓾✎♌⟳▤↗🗪◆Ⅱ♌⟳▤↗🗪◆⌧ ﴾[التغابن: ٢].

وأهل الإسلام: مؤمن وفاسق، والمواقف والأعمال: طاعات ومباحات ومعاصٍ، ومنها خير ومنها شر، ومنها حق ومنها باطل، وفيها عدل وفيها ظلم، وفيها ما يُقبل وفيها ما يُرد.

على أن هناك مصطلحات لا تحمل إلا مفاهيم مغلوطة، ولا تعطي إلا مضامين مرفوضة، وإن بدت ذات بريق خداع.

فإن تقارب الأديان، وزمالة الأديان، والوحدة العالمية، والمساواة والإخاء، والحرية، والعدالة، وغيرها حين يطلقها ويستعملها مدخول العقيدة، أو من يوصم بالكفر، فإنها لن تحمل لأمة الإسلام خيرًا.

فلا ينبغي أن يجارى القوم في كلامهم واصطلاحهم، أو يحملنا الانبهار بما بين أيديهم من الدنيا أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، أو أن ننظر إلى أنفسنا على أننا عالم متخلف وأولئك هم العالم المتقدم المتحضر؛ إذ الحضارة إنما تقوم بمدى خضوعها لمنهج الله، وعبادة أصحابها لله دون سواه، وليست الحضارة منجَزات مادية فحسب، حتى تصحبها منجزات معنوية في جانب الدينونة الحقة لله تعالى، وتهيئة الظروف المختلفة لعبادة الله دون شريك.

وعليه فإن استعمال المصطلحات الشرعية عند إعادة صياغة التاريخ الإسلامي ضروري جدًّا للحفاظ على استقلال التصور والمنهج الإسلامي وإبراز هويته، بالإضافة إلى أن المصطلحات الشرعية أوضح وأدق من المصطلحات الغربية[1]، وبهذا تتضح ضرورة استعمال المصطلحات الشرعية في تدوين السيرة النبوية الشريفة باعتبارها أهم وأشرف فترات أو مراحل التاريخ الإسلامي، وأن هذا الأمر من أهم القواعد والضوابط في منهج تدوين السيرة النبوية الشريفة.

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري (١/ ٣٨).

الفصل الخامس

قواعد وضوابط في العرض وأساليبه

تمهيد:

إن وسائل وأساليب عرض السيرة من الأهمية بمكان لارتباط ذلك بصورة مباشرة بالقبول والانتفاع وحصول الأثر، وتقديم العبرة وتقريب العظة، وترشيد السلوك وضبط القدوة، وتغيير الواقع.

ولا شك أن دراسة السيرة النبوية ترتبط في حسّ كل مسلم برسول الله ﷺ شخصيًّا، وبالدرجة الأولى، كما تتصل في حسّ المسلم بعقيدته التي بها يعتز، وبخير القرون الذين بهم يقتدي ويأتسي.

وفيما يلي شيء من الضوابط التي يطلب الانضباط بها لدى عرض السيرة عرضًا تجديديًّا معاصرًا.

المبحث الأول: التركيز في العرض على الأهداف والمقاصد الإسلامية

أيًّا ما كانت وسائل العرض المتجددة وأساليبه المتنوعة فإن على من يقدم سيرة النبيﷺ للعالم أن يرعى مقاصد مهمة، وأن يحقق غايات نبيلة من وراء ذلك العرض.

فلا بد من الارتباط بعقيدة التوحيد والارتكاز على قاعدة الإيمان، والانطلاق نحو ترسيخ ثوابت الدين، بحيث يتحقق متلقي السيرة من عظيم أثر الأنبياء عامة ونبينا ﷺ خاصة، ويحسن تلقي عقيدة القضاء والقدر، ويؤمن بها على وجهها الصحيح، ويترسخ لديه أنها لا تعني ترك التكاليف الشرعية والأسباب المقدورة، وإنما تعني الاجتهاد في تحصيلها والسعي الدءوب في إقامتها من غير اعتماد عليها، وأنه لا يحلُّ لأحد أن يحتج بالقدر في المعايب، وإنما يذكر عند ورود المصائب، فيتوب من صنوف المعايب، ويصبر عند ورود المصائب فيكون ممن ينازع أقدار الله تعالى بأقداره تعالى فينازع قدَر الفقر والعوز –على سبيل المثال– بقدَر السعي والكسب، وهكذا. وهذا –لا شك– يعمل على إنهاض الأمة من كبوتها، وإفاقتها من غفوتها.

وينبغي على المجدّد في عرض السيرة أن يجدد عقيدة الإيمان بالغيب في قلب متلقيها، بحيث يوقن في الجهاد مثلًا أن المسلم إذا بلغ من الأسباب جهده واستفرغ في تحصيلها وسعه ثم نازل عدوه، فإن الله تعالى معه، وأنه سبحانه ناصره بجنود يعلمها ويراها، وأخرى يعلمها ولا يراها، قال تعالى:

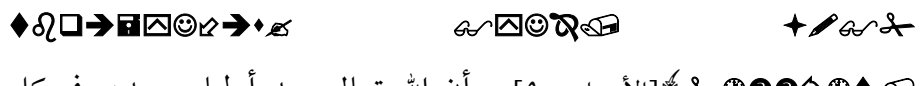

[الأحزاب: ٩]، وأن الله تعالى يمد أولياءه بمدده في كل زمان ومكان، وأن النصر محكوم من حيث الأصل بسنن الله الجارية، وإن كانت سنن الله الخارقة لا تمتنع بإذن الله.

وصاحب منهج التجديد عليه أن يرعى في كل ما يقدمه في السيرة النبوية وغيرها من تاريخ أهل الإسلام إظهار قيمة الخير وتحبيبه، ومحاربة الشر وتبغيضه، وذلك بمقاييس الحق والعدل، وبميزان شرع الله تعالى.

كما ينبغي عند العرض الحرص على ما توثق من الأخبار وما يفيد من التفصيلات، وأما البحث عن تفصيلات لا فائدة منها في السياق التاريخي، ولا يترتب على تكلف العلم بها نفع تربوي أو سلوكي، فإنه يجب ألا يشغل المجددين في عرضهم لأحداث السيرة النبوية إلا فيما لا بد منه لربط أحداث السيرة أو لملء الفجوات بين الأحداث، وأن يستفاد من منهج القرآن حين يعرض عن ذكر التفصيلات في السياقات المختلفة حيث لا مصلحة من بحثها أو الفحص عنها.

وقد علَّم القرآن في مثل ذلك:

[الكهف: ٢٢].

المبحث الثاني: الاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة النبوية

إن التفنن في عرض السيرة النبوية من خلال دراسات نوعية على غرار ما قدمه ابن القيم في «زاد المعاد في هدي خير العباد» لهو من أعظم ما يمكن عرض السيرة النبوية من خلاله.

وذلك لمسيس الحاجة إلى عرض منهج النبي ﷺ في مختلف المجالات الاجتماعية والشرعية.

وهذا العرض يهيِّج على القدوة، ويدعو إلى الأسوة، علاوة على سهولته وملاءمته لأهل هذا الزمان.

ويمكن اعتبار هذا اللون من الدراسات في السيرة النبوية نوعًا جديدًا يمكن أن يصطلح عليه باسم «السيرة الموضوعية»، حيث يعمد الباحث إلى جمع مواقف النبي ﷺ في السيرة حول موضوع ما من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وكتب التاريخ والسير الصحيحة والأشعار الموثقة، وسائر المصادر المعتبرة ثم يرصفها وينظمها سلكًا تربويًّا قصصيًّا وعظيًّا رائقًا.

حيث يمكن أن تقدَّم موسوعة ثرية في السيرة الموضوعية، تقدم أبحاثها بعناوين شائقة نحو: (فقه الحياة في السيرة النبوية)، و(معالم السلوك الحضاري من سيرة النبي ﷺ)، و(السيرة النبوية وفقه مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(مقومات بناء الإنسان من خلال السيرة)، (العرض الدعوي للسيرة النبوية).

على أنه سبق التنويه ببعض الدراسات المعاصرة التي عنيت بأحواله ﷺ وأعماله وخصاله وخلاله في السيرة النبوية، فهذا يكتب «النبي باسمًا» وذلك يعرض «مواقف بكى فيها النبي ﷺ»، وآخر يضيف «النبي الكريم معلمًا» ورابع «النبي مربيًا»، وهكذا.

فإذا اجتمعت لهذا الأمر هيئة معنية وجِهة مرضية بإمكانات قوية أمكن -بإذن الله- تقديم هذا المشروع العلمي التربوي في سيرة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: تحقيق البلاغ المبين بعرض سيرة النبي الأمين

إذا كان من أول مهمات النبي الأمين ﷺ البلاغ المبين عن رب العالمين، فإنه ﷺ قد أدّى هذا البلاغ بقاله وحاله وفعاله، وقد حفظت كلماته ﷺ وبقيت سيرته لتهدي للتي هي أقوم.

وإن من البلاغ المبين عن النبي الأمين ﷺ أن تبلَّغ سيرته محملةً برسائل الدعوة لغير المسلمين؛ ذلك أن سيرته ﷺ معجزة إعجازَ ما جاء به.

قال ابن حزم رحمه الله: «إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورةً، وتشهد له بأنه رسول الله حقًّا، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته لكفى»[١].

أقام الله ببعثته الحجة، وأظهر بسيرته المحجة، فإنه ﷺ تغيرت عليه الحوادث وتجددت عليه المواقف، فما لينت الشدائد له صُلْبًا، ولا وهنت المكائد له عزمًا، لم تزل نفسه الشريفة ﷺ عن الدنيا راغبة، ومدامع عينه لم تبرح مترقرقة، تمكن من الدنيا فلم تتبدل له سيرة ولم تتغير له خليقة، فهو أصدق الخلق لهجة، وأعدلهم طريقة، دلائل نبوته زادت على الحد، وشمائله لا يأتي عليها العد، أجرى الله تعالى على يديه الآيات البواهر، والتي على مثلها آمن الغائب والحاضر، وخصه الله تعالى بمعجزة الدهر وشعار الفخر؛ القرآن الكريم مضى عليه أربعة عشر قرنًا من الزمان وإعجازه جديد، وهرم شباب الزمان ورونقه إلى مزيد، أعلى الله به منار التوحيد، وأصلح بهدايته أحوال العبيد[٢].

فيتعين على مريد التجديد أن يعرض هذه السيرة لغير المسلمين عرضًا يناسب الجاهل ليعرف، والعارف ليوقن، والمعاند ليرعوي، عرضًا يحببه ﷺ إلى القلوب،

---

(١) جوامع السيرة، لابن حزم (ص٢).

(٢) درة البيان في أصول الإيمان، د. محمد يسري، ط٤ دار اليسر، القاهرة، (ص٥٠-٥٣).

ويجلِّي محاسن أخلاقه للخلائق، ويقطع ألسنة قالة السوء.

وينبغي أن يكون هذا العرض في مستويات متعددة ومتدرجة مع حرص على تحقيق البلاغ بحقائق الدين، ومقاصد الشريعة، والسلوك النبوي الحضاري.

وهذا هو الخطاب العام العالمي الذي يبني في القلوب محبة النبي الرحيم الكريم الحليم ﷺ.

المبحث الرابع: الإفادة المنضبطة من وسائل الإعلام والتقنية المعاصرة

يتميز هذا العصر بأنه عصر الانفتاح الإعلامي وثورة الاتصالات، ومهما قيل عن أهمية الوسائل التقليدية في الدعوة إلى الله، فإن الوسائل المستجدة في عالم اليوم من البث الفضائي والشبكة العنكبوتية تفوق كل وسيلة، وتسبق كل طريقة، مميزاتها كثيرة، ومنافعها عديدة، فهي أعمق أثرًا في كل نفس، وأسهل وصولًا إلى كل بيت، فتح الله بها مغاليق قلوب كثيرة.

وتوظيف الإعلام في عرض سيرة النبي ﷺ أمر متحتم، وأشكال هذه الاستفادة كثيرة ومتنوعة، فمن برامج تفاعلية وحوارية إلى دروس ومحاضرات علمية، ومن حلقات روائية إلى أفلام وثائقية، ومن تصوير لمواقع الغزوات وأماكن الأحداث إلى ما لا يتناهى من البرامج والمواد الإعلامية.

والحاجة ماسة إلى محطة فضائية وأخرى أرضية تعنى بالسيرة النبوية من مختلف جوانبها، وترسل رسائلها باللغات الحية، وتبث إلى الدنيا بأسرها، وتعرض برامجها على صفحات الشبكة العنكبوتية، ليبقى أثرها، وليستمر عملها.

وينبغي في تلك البرامج أن تناسب كل الفئات، وترضي جميع المتابعين، وتحقق أكبر قدر من التعريف بنبي الإسلام وسيرته، وخصائصه وشمائله، وتجدد الثقة والقدوة في أصحابه ﷺ.

ولا يفوت تنبيه على أهمية الانضباط بالضوابط الشرعية الحاكمة للأعمال الإعلامية، مما يمكن تسميته باصطلاح معاصر اليوم بفقه الإعلام الإسلامي.

وقد نبّهت -على سبيل المثال- فتاوي علماء الإسلام حديثًا على حرمة تمثيل الأنبياء عامة، وأصحاب نبينا ﷺ، مع الانضباط بالضوابط التي أبيح معها التمثيل لدى بعض العلماء[1]، وحذرت من ألوان من مخالفات الموسيقى والغناء، ومنعت من كل اختلاط مستهتر بين الرجال والنساء.

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (ص٣٢٥-٣٣١).

المبحث الخامس: تتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد

لا تزال ذاكرة التاريخ تحفظ أن يوحنا الدمشقي (ت:١٣١هـ) قدّم كتابه «الهرطقة»، يهاجم فيه النبي ﷺ وسيرته، زاعمًا أن القرآن من وضع بحيرا الراهب وبمساعدة من النبي ﷺ الذي أخذ عن ورقة بن نوفل، وكان قسًّا يترجم الأناجيل المحرفة إلى العربية !!. إلى آخر هرطقته.

وفي سياق العصور الوسطى قال بيدرو باسكال: «إن المصادر الإسلامية تفيد بأن راهبًا مرتدًّا عن النصرانية يقال له بحيرا رأى محمدًا، وقربه إليه وعلمه الدين المحرف، وحذر عمه أبا طالب من أن يصيبه اليهود بسوء، وسرعان ما تعلم محمد أمور الرهبنة وانقطع للتنسك بجبل في مكة مهيئًا نفسه لتزوير كتاب ديني يزعم أنه أوحي إليه!»[(١)].

وعلى هذا المنوال نسج البريطاني جون مانفيلد الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي، ومثله مارتن لوثر رأس الكنيسة البروتستانتية.

وإمعانًا في الإفك ذهبت دراستان ألمانيتان معاصرتان إلى أن الأوربيين قد ادعوا «أن محمدًا ﷺ كان في الأصل كاردينالًا كاثوليكيًّا، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة !!»[(٢)].

وهكذا كان جوته الألماني وفولتير الفرنسي، ولا تزال لوحات كنسية تنتشر في بلجيكا وإيطاليا وغيرها تعرض صورًا مزعومة للنبي ﷺ وهو يعذب في النار ![(٣)].

وبكل حال فإن «ما يساق في عالم اليوم من الشبهات والافتراءات على أيدي

---

(١) N. Daniel, Islam and the west: The making of an image, Edinburgh university press, Edinburgh, 1966, p.232

(٢) صورة الإسلام في التراث الغربي هوبر هيركومر، وجيرنوت روتر، ترجمة ثابت عيد وتقديم د.محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩ (ص١٨-٢١).

(٣) التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية، د. محمد يسري، ط٢ دار الصفوة، القاهرة، (ص٤٤، ٤٥).

قسس وسياسيين ومفكرين معاصرين وإعلاميين أكثر من أن يذكر أو أن ينقل.

وتكفي في هذا الصدد مطالعات سريعة لمحطات البث النصراني، والجامعات الأصولية المسيحية، ومواقع الإفك الإلكتروني، وما يبثه أمثال بات روبرتسون[١]، وفرانكلين جراهام[٢]، وجيري فاينز[٣]، وجيري فالويل[٤]، وأخيرًا بابا الفاتيكان[٥]!!»[٦].

فإذا ما وقفنا على الأسباب الدينية والفكرية والثقافية والتاريخية والنفسية علمنا كل العلم أنه لا سبيل ترجى لمنع هذه الافتراءات وإيقاف تلك الشبهات، وأنه لا

---

(١) بات روبرتسون: قسيس إنجيلي معروف بتأييده المطلق لإسرائيل، يمتلك عددًا من المؤسسات الإعلامية، كما يمتلك محطة فضائية، وهي محطة: البث النصراني Christian Broadcasting، والرجل يقف خلف إنشاء أقوى تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري.

(٢) فرانكلين جراهام: هو ابن القسيس الأمريكي المشهور بيلي جراهام، حيث عمل قسيسًا خاصًّا للرؤساء الأمريكيين منذ عهد ريتشارد نيكسون، وحتى الرئيس السابق بيل كلينتون، وقد تولى فرانكلين نفس المهام بعد تقاعد الأب حيث قام بالمراسم الدينية لتنصيب الرئيس الأمريكي جورج بوش، إضافة إلى توليه كافة المسئوليات الكنسية التي أنشأها أبوه، كما تعد كنيسته من أكبر الكنائس الأمريكية عددًا وتأثيرًا.

(٣) جيري فاينز: راعي كنيسة في ولاية فلوريدا، وهو من أبرز المتحدثين الأمريكيين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، وقد صدرت منه إهانات بالغة للنبي ﷺ بمحضر الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، الذي لم يصدر منه أي تعليق على هذه الإهانات، بل اعتبره من المتحدثين بصدق عن دينهم.

(٤) جيري فالويل: قسيس إنجيلي معروف بولاية فرجينيا الأمريكية، يملك جامعة خاصة أصولية، وله برنامج إذاعي وتلفزيوني أسبوعي، يهاجم فيه النبي ﷺ، كما أنه يروج من خلال موقعه الإلكتروني لكتاب «فلنتقدم إلى معركة هرمجدون»، وهي معركة نهاية التاريخ في معتقدات الإنجيليين.

(٥) بابا الفاتيكان «بينديكت السادس عشر»: هو أعلى رمز ديني في الغرب المسيحي وقد اختار الرجل أن تكون مقدمة محاضرته التي ألقاها في جمع من العلماء الألمان في جامعة ريجينسبرج هجومًا صريحًا على نبي الإسلام، حيث قال: «أرني ماذا قدم محمد من جديد؟ وسوف لن تجد إلا أمورًا شيطانية وغير إنسانية».

(٦) التطاول الغربي على الثوابت الإسلاميّة، د. محمد يسري (ص٤٥، ٤٦).

مناص من التصدي لها بالحجة والبرهان.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ [آل عمران: ١١٨].

وإذا كان هذا حديثًا عن الغرب فإن الشرق النصراني له نصيب من الكيد، فهذه قنوات عدَّة تبث سموم التنصير الذي لا يقوم إلا على الوقيعة في النبي ﷺ والتنقص لشخصه الكريم وسيرته العطرة ومن أسوأ الأمثلة ما يبثه القسّ (زكريّا بطرس) أخزاه الله على قناة الحياة وغيرها.

ولا ريب أن إنشاء منظمات ومؤسسات عالمية كمنظمة النصرة وغيرها للدفاع عن أنبياء الله قاطبةً والتعاون في هذا الصدد مع عقلاء المخالفين في أصل الدين مما يدفع به في نحر هذه الحملات الظالمة.

وأن إنشاء مراكز للترجمة الواعية المنضبطة وفق منهجية تراعي السياقات الزمنية والحضارية سيسهم بشكل كبير في تجلية الحقائق، ويرد على الافتراءات.

كما يقترح تنظيم حملات إعلاميه مضادة في مختلف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وإطلاق عدة مواقع إلكترونية للرد بمختلف اللغات، وتخصيص المصطفى ﷺ بنصيب مستقل من ذلك.

ولا مانع من مد جسور التواصل مع المنصفين من الغربيين أو غيرهم لعقد حوارات وندوات مشتركة في الرد على المعتدين.

المبحث السادس:

العناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات

إن المقارنة التاريخية والحضارية بين العهد النبوي ومتعلقاته وسائر عهود البشرية - لمن أقوى وسائل التأثير في النفس البشرية، فإن نظرة فاحصة -على سبيل المثال- لتاريخ الحرب لدى سائر الأمم من حيث أسبابها ونتائجها، ومقارنتها بالغزوات والسرايا النبوية، سوف يكشف بوضوح وجلاء عن سمو الهدي النبوي، وعلو المنهج المحمدي على سائر المناهج.

ثم إن دعم هذه الدراسات المقارنة بإحصائيات عددية والمقارنة مرة أخرى بين هذه الإحصائيات الرقمية، وتحليل النتائج تحليلًا علميًّا سوف يكشف عن حقائق مذهلة.

فعلى سبيل المثال قد يقال: إن عدد الغزوات بلغ سبعًا وعشرين غزوة، وعدد السرايا بلغ ستًّا وخمسين سريّة مات في جميعها من المسلمين والمشركين بضع مئات فقط!

وبمقارنة هذه الأرقام بحروب عالمية كالحربيْن العالميتيْن أو بحروب عرقية؛ كما فعل الأمريكيون البيض بالهنود الحمْر سكان البلاد الأصليين، أو حروب دينية كالتي شنها الأمريكيون على أفغانستان أو العراق، فإن النتائج ستبدو مذهلةً مفجعةً يندى لها جبين الإنسانية التي تبحث اليوم عن حقوق الإنسان!!

وما المانع أن تُبحث حالات العدوان على المرأة في السيرة النبوية وأن تقارن إحصائيًّا ونوعيًّا بحالات العدوان عليها في تلك الدول الصناعية المتقدمة؟!

وكيف ستكون النتيجة عند إجراء إحصاء عددي عن حالات الانتحار في عهدهﷺ وحالات الانتحار في دولة من تلك الدول العظمى البائسة المتغطرسة؟!

وما هو المتوقع لدى مقارنة عدد حالات الإساءة إلى الأطفال أو الاعتداء عليهم في عهدهﷺ وفي عهد دولة عظمى -بزعمهم- تتشدق برعاية الطفولة؟!

إنه جزمًا وبكل تأكيد ستشرق شمس الهداية النبوية على أهل هذه القرون كما أشرقت -أول الأمر- على الجاهلية الأولى فبددت ظلمتها، وهدَت حيرتها.

وهكذا سَيُسهم هذا العرض التجديدي في إبراز الوجه الحضاري للعهد النبوي.

الخـاتـمـة

في نهاية هذه الورقات يطيب التأكيد على بعض ما ورد في أثناء البحث، واقتراح ما من شأنه أن يدفع في اتجاه التجديد بشكل سديد، وذلك على نحو ما يلي:

أولًا: إن مفهوم تجديد عرض السيرة يجمع في طيّاته بين نفي أحداث تستنكر روايتها أو مواقف منحرفة لا تصح عن أصحابها، أو مناهج تشذ في تفسير أحداثها ومعجزاتها، كما يجمع إلى ذلك إظهار السمت الأكمل للنبي المبجل ﷺ، وهدي خير الخلق؛ ليكون نبراس هدى في معالجة واقع العصر ومعضلاته.

ومن التجديد آخرًا تيسير لغة عرض أحداثها، والإفادة من معطيات التقنية والإعلام في تعظيم التفاعل معها والانفعال بها.

ثانيًا: برهَن البحث على دقيق عناية المصنفين في السيرة النبوية، وعرَض لجوانب من المقارنة بين منهجي المحدثين والمؤرخين في تدوين السيرة، كما كشف البحث بجلاء عن التميز المنهجي لدى علماء الإسلام في هذا الجانب مقارنة بالمنهج والتراث الغربي في المجال التاريخي.

ثالثًا: عرض البحث لملحوظاتٍ في جانبي التوثيق والتفسير للروايات التاريخية عند المؤرخين، ثم عرَّج على أمثلة أخرى عند المعاصرين من المستشرقين ومن المتأثرين بمنهجهم، تمهيدًا للعناية بتلافيها لدى العرض التجديدي للسيرة النبوية.

رابعًا: تناول البحث أهمَّ مقاصد وأهداف التجديد في تدوين السيرة، فأكد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة، والاهتمام بالقراءة الاستنباطية عن السيرة النبوية، والعناية بالتربية على مائدتها، وإحياء فقه السنن الربانية، والإفادة من الجوانب الحضارية في السيرة النبوية، وتقوية التفاعل الإيجابي مع

الواقع بعد فهمه وتحليله، وتعظيم قدر الصحابة ومعرفة فضلهم.

خامسًا: كما حدد البحث جملة من ضوابط التدوين وأسلوب الكتابة، وأكد على تفسير الأحداث وفقًا للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي، وحذر من الإسقاط التاريخي المتعسف عند تفسير الأحداث، واجتناب المجازفة بالأحكام التعميمية، كما أكد على أهمية استعمال المصطلحات الشرعية لدى الكتابة، والابتعاد عن المصطلحات غير الصحيحة أو الدقيقة.

سادسًا: ومن ضوابط العرض: التركيز على المقاصد الإسلامية، والاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة، وتحقيق البلاغ المبين من خلال عرض السيرة، والإفادة المنضبطة من وسائل التقنية والإعلام، وتتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد، والعناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات.

سابعًا: ومن جملة ما يقترح من مشاريع تخدم التجديد في العرض ما يلي:

١- كتابة السيرة من مصادرها المعتمدة وهي القرآن وتفسيره وعلومه، والسنة النبوية الصحيحة وعلومها، وأشعار الصدر الأول الموثوقة، وأخبار أهل السيرة المعتبرة، وتقديم رواية تاريخية من خلال هذه المصادر الأصيلة.

٢- إنشاء مشروع للسيرة الموضوعية، وذلك بغية الكشف عن تلك الجوانب الحضارية في السيرة النبوية وربط ذلك أيضًا بالقرآن الكريم والسنة النبوية.

٣- إعداد مدونة يومية للسيرة النبوية وأحداثها فإن لم يتيسر فمدونة شهرية، لترتيب الأحداث والوقائع في سياقها الاجتماعي والسياسي والتشريعي والعسكري في آن واحد.

٤- إجراء دراسة سُننيّة في سيرة خير البرية ﷺ من خلال آيات وأحاديث السنن الاجتماعية ووقائع السيرة الصحيحة.

٥- تحرير ببلوغرافيا وتحديثها سنويًّا بالمؤلفات في السيرة النبوية والدراسات الجامعية والعلمية وثيقة الصلة بصاحب السيرةﷺ، وتعميمها على مراكز البحوث، والجامعات، والمعاهد المتخصصة، في الشرق والغرب للإمداد بما يخدم الجهود ويرشد الأعمال العلمية ويحسن توجيهها.

٦- العناية بالدراسات النوعية في السيرة النبوية، والتي تبرز جوانب من العلوم التربوية والسلوكية والاجتماعية، وضوابطها العلمية في السيرة النبوية.

٧- إطلاق محطة فضائية تعنى بعرض السيرة النبوية بمختلف اللغات الحية، وترسل رسائلها لتغطي العالم بأسره.

٨- إنشاء كراسيَّ علميةٍ في الجامعات الغربية للسيرة النبوية خاصة، ودعم المعاهد والأكاديميات الشرعية في غير بلاد المسلمين.

٩- مراجعة المناهج التعليمية في تلك البلاد الغربية من حيث ما يكتب ويدرس فيها عن الإسلام ونبيهﷺ، والعمل على تنقيتها من شوائبها، وتقديم البدائل الصحيحة، وطرح المسابقات المتميزة في إعداد هذه الكتب والمناهج التعليمية.

مراجع ومصادر البحث

١. اختصار علوم الحديث، لابن كثير مع شرحه الباعث الحثيث، ت: أحمد محمد شاكر، دار التراث، ط ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٢. إعادة كتابة تاريخ صدر الإسلام، د.أكرم ضياء العمري، محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة.

٣. إعلام الموقعين، لابن القيم، ت: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، ط ١٩٧٣م.

٤. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢، ١٣٦٩هـ.

٥. الإحكام في قواعد الحكم على الأنام، د. محمد يسري، دار اليسر، القاهرة، ط٣، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٦. الاستشراق، لإدوارد سعيد، ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت .

٧. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، للسخاوي، ت: د.أحمد صالح العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٨. البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩. التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٠. التطاول الغربي على الثوابت الإسلامية، د. محمد يسري، ط٢ دار الصفوة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، القاهرة.

١١. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ت: د.محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣.

١٢. الحداثة في ميزان الإسلام، د. عوض القرني، ط دار الأندلس الخضراء، جدة.

١٣. الروض الأنف، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

١٤. السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم ط٦، ١٤١٥هـ.

١٥. السيرة النبوية في القرآن الكريم، د. عبد الصبور مرزوق، دار الكتاب المصري– دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٦. السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد أبو شهبة، دار القلم، ط١، ١٩٨٨م.

١٧. السيرة النبوية، لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث–القاهرة.

١٨. السيرة والبحوث الإسلامية، الكتاب المقرر على الصف الثالث الإعدادي، بدولة اليمن الجنوبي (سابقًا).

١٩. الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر– بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

٢٠. الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد، للدكتور يوسف القرضاوي، ط٢، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٢٤هـ.

٢١. الفهرست، لابن النديم، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٦م.

٢٢. الكفاية في معرفة أصول علم الرواية، الخطيب البغدادي، ت: إبراهيم بن مصطفى آل بحبح، دار الهدى، ط١، ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

٢٣. المختصر في علم التاريخ، نشره روزنثال، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح العلي، بغداد مكتبة المثنى، ١٩٦٣م.

٢٤. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

٢٥. تاج العروس، للزبيدي، ط الكويت.

٢٦.تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤.
٢٧. تاريخ التمدن الإسلامي، لجرجي زيدان، مكتبة الحياة بيروت، ط٢.
٢٨. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي، ط١.
٢٩. تجديد الدين، مفهومه، وضوابطه، وآثاره، للدكتور محمد حسانين، نشر جائزة نايف بن عبد العزيز، ط١، ١٤٢٨هـ.
٣٠. تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٣١. تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد، للسيوطي، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم، ط دار الدعوة، الإسكندرية ١٤٠٣هـ.
٣٢. تهذيب التهذيب، لابن حجر، حيدرآباد، ط١، ١٣٢٥هـ.
٣٣. تهذيب الكمال، للمزي، ت: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
٣٤. جوامع السيرة، لابن حزم، بتحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، القاهرة، ط١.
٣٥. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٤، ١٤٠٥.
٣٦. حياة محمد، د. محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط١٤.
٣٧.دراسات في السيرة، لمحمد سرور بن نايف، دار الأرقم، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٣٨. درة البيان في أصول الإيمان، د. محمد يسري، ط٤ دار اليسر، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، القاهرة.
٣٩. ديوان ابن الرومي، بتحقيق حسين نصار، دار الكتب المصرية ١٣٩٧هـ القاهرة.
٤٠. سبل الهدى والرشاد، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: عادل عبد

الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م.

٤١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٤٢. سيرة ابن إسحاق، تحقيق د. محمد حميد الله، المقدمة: طبعة معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمملكة المغربية، ١٣٩٦هـ.

٤٣. صورة الإسلام في التراث الغربي هوبر هيركومر، وجيرنوت روتر، ترجمة ثابت عيد وتقديم د.محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩.

٤٤. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٤٥. عيون الأثر، لابن سيد الناس، مؤسسة عز الدين للطبعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٤٦. فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط ١٣٧٩هـ.

٤٧. فتح المغيث، للسخاوي، ت: د. عبد الكريم الخضير، ود. محمد الفهيد، دار المنهاج- الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤٨. في التاريخ فكرة ومنهاج، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.

٤٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٥٠. قاعدة في الجرح والتعديل، وقاعدة في المؤرخين، للسبكي، ضمن أربع رسائل في علوم الحديث، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

٥١. كتاب المجروحين، لابن حبان، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.

٥٢. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.

٥٣. مجموع الرسائل والمسائل، لابن تيمية، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
٥٤. مجموع الفتاوي، لابن تيمية، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٣٩٨هـ.
٥٥. محمد والقوى المضادة، د. محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية.
٥٦. مدارج السالكين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
٥٧. مراتب الإجماع، لابن حزم، ت: حسن أحمد إسبر، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٥٨. مصادر السيرة النبوية بين المحدثين والمؤرخين، د. ياسر محمد نور، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٥٩. مصادر السيرة النبوية، عبد الرزاق إسماعيل هرماس، ط جائزة الأمير نايف العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٦٠. مصادر السيرة وتقويمها، د. فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٤١٠هـ.
٦١. معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ط٣، دار اليسر، القاهرة، ١٤٢٩هـ.
٦٢. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ط١، ٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
٦٣. مقدمة كتاب «تخريج الدلالات السمعية» تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٢م.
٦٤. من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، د. يوسف القرضاوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٦٥. منهاج السنة النبويّة، لابن تيمية، جامعة محمد بن سعود، ت: محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦٦. منهج دراسة التاريخ الإسلامي، محمد أمحزون، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٧. منهج كتابة التاريخ، د. محمد بن صامل السلمي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٦٨. موجز تجديد الدين وإحيائه، لأبي الأعلى المودودي، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٨م.

٦٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، ت: علي محمد البجاوي، ط دار المعرفة، بيروت.

70- N. Daniel, Islam and the west: The making of an image, Edinburgh university press, Edinburgh, 1966, p.232.

الفـهــرس

الموضوع	رقم الصفحة

مقدمة ٢

الفصل الأول: مفاهيم ومصطلحات ٩

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التجديد ٩

المبحث الثاني: مفهوم السيرة النبوية وأهمية دراستها ١٤

المبحث الثالث: مفهوم تجديد عرض السيرة ١٨

المبحث الرابع: أضواء على مصادر السيرة في ظل تجديد العرض.... ١٩

الفصل الثاني: جوانب من الخلل في كتابة وعرض السيرة النبوية قديمًا وحديثًا ٢٣

المبحث الأول: بين منهجي المحدِّثين والمؤرخين في تدوين مرويات السيرة وقبولها ٢٨

المبحث الثاني: نماذج من الخلل في جانب الرواية والدراية في مرويات السيرة ٣٠

المبحث الثالث: نماذج من الخلل في جانب تفسير الحوادث والحكم عليها ٣٧

الفصل الثالث: مقاصد تجديد عرض السيرة ٤٣

المبحث الأول: التأكيد على أصول العقيدة والمفاهيم الصحيحة ٤٤

المبحث الثاني: العناية بالقراءة الاستنباطية من السيرة النبوية ٤٦

المبحث الثالث: التربية بالقدوة على مائدة السيرة النبوية ٤٨

المبحث الرابع: إحياء فقه السنن الربانية ٥٠

المبحث الخامس: الإفادة من الجوانب الحضارية في السيرة ٥٣

المبحث السادس: التفاعل الإيجابي مع الواقع بعد فهمه وتحليله... ٥٦

المبحث السابع: تعظيم قدر الصحابة ﷺ ومعرفة فضلهم ٥٨
المبحث الثامن: تجديد العرض والبيان بالإفادة من معطيات الزمان.... ٦١
المبحث التاسع: تقديم السيرة النبوية الكاملة ٦٣
الفصل الرابع: قواعد وضوابط في منهج التدوين ٦٥
المبحث الأول: العناية بالمصادر الشرعية الصحيحة وتقديمها ٦٦
المبحث الثاني: اتخاذ الموقف الصحيح من المصادر الأخرى..... ٧٩
المبحث الثالث: الجمع بين المناهج المنضبطة والعلوم المترافدة ٨٣
المبحث الرابع: التأكيد على المعجزات النبوية جميعًا مع الدلائل والخصائص والشمائل ٨٥
المبحث الخامس: تفسير الأحداث وفقًا للعقيدة الصحيحة والمنهج الإسلامي الصحيح ٨٧
المبحث السادس: الحذر من الإسقاط التاريخي عند تفسير الأحداث.. ٩٢
المبحث السابع: الابتعاد عن المجازفة بالأحكام التعميمية ٩٤
المبحث الثامن: استعمال المصطلحات الشرعية والصحيحة ٩٦
الفصل الخامس: قواعد وضوابط في العرض وأساليبه ٩٩
المبحث الأول: التركيز في العرض على الأهداف والمقاصد الإسلامية .. ١٠٠
المبحث الثاني: الاهتمام بالدراسات النوعية في السيرة النبوية.... ١٠٢
المبحث الثالث: تحقيق البلاغ المبين بعرض سيرة النبي الأمين.... ١٠٣
المبحث الرابع: الإفادة المنضبطة من وسائل الإعلام والتقنية المعاصرة ... ١٠٥
المبحث الخامس: تتبع الشبهات المعاصرة بالرد والتفنيد ١٠٦
المبحث السادس: العناية بالدراسات المقارنة والإحصائيات ١٠٩
الخاتمة ١١٠
مراجع ومصادر البحث ١١٣
الفهرس ١١٩